

رواية

الرواية العاب

غادة أكرم

ألوان الحب

بقلم
غادة أكرم

غلاف/ سارة سيف الدين

جروب كلام روايات

[/https://www.facebook.com/groups/KalamRewiat](https://www.facebook.com/groups/KalamRewiat)

عندما تكون الغاية لها فبرح برقي

ألوان الحب

المقدمة والفصل الأول

للألوان فلسفة ..

يعبر كل لون عن مشاعر مختلفة ..

شخصيات مختلفة ..

أسود .. وأبيض ..

نعم قد يكون غضبًا أسود ..

أو نقاء وبراءة الأبيض ..

وقد يكون أسود الحزن أو الحزم أو حتى الفخامة والأناقة ..

وقد يكون أبيض الضعف وأسرة المرض ..

ويبقى الأسود هو الأسود ..

والأبيض هو ذات الأبيض ..

الأحمر؟

هل يكون أحمر العشق والحب؟! كزهور جوري خلافة ..

قد يكون أحمر الدماء .. أحمر يحكي

عنفًا و صخبًا ..

قد يكون أحمر للزينة كأحمر شفاة ..

أزرق!؟

هل هي زرقة البحر الخلافة!؟

بقوته باحتوائه بعنفوانه!؟

زرقة سماء صافية تشرح القلب والنفس ..

أم زرقة جليد وصقيع .. زرقة ترتعد لها الأطراف ..

ذهبي؟

ذهبي كأشعة شمس مشرقة ..

تبعث الدفء في الأوصال ..

تنير الكون وتنشر النور ..

فضي!؟

كنور القمر ..

يضيء بنوره السماء المظلمة ..

كانت تداعب بفرشاتها الألوان .. تمزج بينها مستكشفة كل لون جديد ..

تبوح بمكنون قلبها وروحها للوحات بيضاء معبرة بفرشاتها وعدة ألوان ..

عن ألوان الحب ..

كنقاط بيضاء تتحرك بنشاط ودأب بدا الطلاب بمجمع الكليات العملية في هذا الوقت من العام .. حل موسم الامتحانات وها هي أول مادة مر اختبارها بحلوه ومره .

لتتكون حلقات من الطلبة وتدور حوارات متعددة عن الاختبار وكيف أدى كل منهم فيه..

وفي جانب هادئ وقفت الصديقتان

نسمة وسلمى ..

نسمة : سلمى عملتِ إيه ؟

سلمى وهي تزفر براحة : الحمد لله عدت على خير .. وأنت؟

نسمة ضاحكة : الحمد لله .. كنت قلقانة جدًا .. ما نمتش طول الليل .. يحيى كان تعبان .. و الحمد لله أني قدرت أفكر اللي ذاكرته!!!

سلمى: حبيبي الصغير !! وهو عامل ايه دلوقت ؟

نسمة: بخير الحمد لله كلمت ماما و اطمنت .. يلا نروح..

سارت الصديقتان متجاورتان .. صديقتان وجارتان ورفيقتا طفولة وصبا ومراهقة ونضج .. أخذ فكر كل منهما طريق آخر ..

سلمى يشغلها كلمات أمها صباحا : "ما تتأخرين بابا جاي يكلمك في موضوع مهم".

توترت ملامحها هي تعرف هذا "الأمر الهام" .. بالتأكيد عريس جديد وجولة إقناع جديدة !!

أما نسمة فقد أخذتها أمواج التفكير كيف حال طفلها الآن يا ترى؟!!

ماذا ستعد للغداء اليوم؟!!

الحمد لله لديها بعض الوجبات النصف محضرة رتبتهام مع أمها قبلاً لمثل هذه الأيام.

كانت خطوات سلمى متوترة تحمل أمواج القلق الهادر بداخلها .. والدها يريدتها ..

ربما عريس جديد كالعادة .. فهو لا يأتي في غير مواعيد زيارتهم الأسبوعية إلا لشيء ضروري .. وبعد زواج أختها بما يزيد عن أربع سنوات أصبح حضور عريس

لطلب يدها هو الضرورة التي يهتم بها أكثر من أي شيء آخر..

حقًا هي لا تكره الزواج ولا ترفضه .. هي فقط تريد أن تكون متأكدة حين توافق..

أن ترى الأمر من كل الجهات .. يطمئن قلبها .. ويثق عقلها ..

كلما فتح الأمر وجاء خاطب تحاول السيطرة على دقائق قلبها المتسارعة بذعر .. وتضفي خارجها قشرة ثقة توهمهم بها بأنها متأكدة من قرارها .. " مش وقته".

قالتها بحزم وتقرير وعيناها البنيتان تلمعان بتصميم .. ليقف والدها بانزعاج .. يصمت لخمس ثوان كعادته حين يغضب محاولاً ألا يتخذ قراراً متسرّعاً.. ثم يرد: " مش وقته مش وقته !! إنت مبقتيش صغيرة يا سلمى لحد امتى ؟

دخلت أمها الغرفة وقد غامت عيناها بالدموع : " أرجوك يا أحمد متضغطش عليها .. أنا هكلمها وهتقابله إن شاء الله " ..

كان الجو المشحون سيد الموقف .. زفر أحمد منزعجاً .. ثم انصرف بعد وداع مقتضب وسؤال إن كان هناك شيء ما ينقص البيت ليحضره ..

تهتدت سلمى بحزن وانهارت جالسة على سريرها فلم يعد هناك مجالاً للتماسك أكثر..

جلست أمها بجانبها ولفت ذراعيها حولها .. أمها تلك الغيمة الناصعة البيضاء التي ظللتها طوال حياتها تمنحها دفء حنانها .. بكل نقاء وتفاني ..

" سلمى حبيبتي أجمل الجميلات ليه لا ؟ "

التمعت الدموع بعيني سلمى التي تقاتل لمنع سقوطها بإباء متمسكة بسلاح الصمت كآخر الدروع ..

لتسترسل السيدة صابرين : " متقوليش مش وقته

أنا سمحت لك كثير ترفضني بس لحد امتي ؟

العمر بيجري عاوزة أتطمئن عليك "

عادت الدموع تلتمع بعينيها تنظر لابنتها المستسلمة لأحضانها هاربة بعينيها لأي مكان سواها .

" يا ترى انفصالي أنا وباباك هو السبب؟! "

قالتها بوهن العالم ببواطن الأمور ..

لتدير سلمى وجهها بعيداً .. كفى ألا يسمح لها بفسحة من الحرية في اتخاذ قرار يخصها؟! "

لما ينظر أبيها وأمها لزوجها وكأنه آخر سطر في كتاب مهمتهما المشتركة ..

نعم تزوجت الابنة الكبرى .. ولم يبق غيرها بينهما .. بين أبوين منفصلين .. بقت كمهمة ثقيلة لا تنجز بسهولة ..

ليوقف صوت صابرين تتابع أفكارها

" ظروفنا أنا وبابا كانت مختلفة "

بصوت مهزوز حزين همست أمها : " اوعي يكون دا سبب رفضك ؟ "

بلوعة هتفت .. ثم تنهدت لتكمل : " اتجوزت أبو وفاء .. ولكنه توفى بعد جوازنا بشهور في حادث .. كنت حامل على وش الولادة ..

جدك أصدر قرار .. قال لأحمد : هتجوز أرملة أخوك ..

أبوك حاول يرفض كان نوى أن يخطب منار كانوا جيران وكان بيحبها ..جدك هد كل حاجة في لحظة

أنا نفسي كنت مصدومة .. كنت لسه في حالة عدم تصديق لوفاة محمود الله يرحمه ...ولكني كنت عارفة أنني لو رفضت هنتحرم وفاء و أنا كمان من الميراث ومن العيلة لأنني هاكون كسرت كلامه..

مكنش قدامي أي خيار إلا الموافقة ..

و باباك كان شهم ووافق عشان ما أضيعش أنا و بنتي .. واتجوزنا .. حاول دائماً أنه يسعدني ويسعد وفاء أختك .. حاول يضحى لأبعد حد ويرضي الجميع مدت يدها تمسح دمعة غادرة لتتابع بعدها ناظرة لعينيها: " وجه وقت مقدرش يواصل أكثر .. وبدأ يفكر يتجوز منار ..

اعترف لي بكدا .. وكنت عارفة من قبل اعترافه .. كنت دائماً بشوفها في عينيه خطيبته وحبه اللي اتحرم منه ..

مكنش بيكلمها بعد زواجنا وهي كمان بعدت .. لكن بعد وفاة جدك .. واطمئنانه إن حقنا مش هيضع ..قرر يتجوزها .. وقال لي : "أنت والبنات في عيني طول عمري لحد ما أموت .. وأنا عمري ما استغنى عنكم "

لكني مقدرتش أكمل كنت اكتفيت جروح ووجع قلب ساعتها

قلت له: أهم شيء البنات متنساهمش ..

ربنا قدر يتوفى زوجي الأول بعد شهر من جوازنا .. كانت أجمل أيام حياتي ..
كنت فعلا عروسة هو اختارها وحبها محدش فرضها عليه "

أكملت وابتسامة تشق سيل دموعها : " كانوا خاطبيننا لبعض من واحنا صغار
.. لكن إيه بإيدنا قدام القدر؟! "

"لكن ربنا كان رحيم بيا وعوضني بأحمد زوج و أب لوفاء بعد وفاة والدها ..
وزادني من فضله ورزقني بك .. ورزقني استقرار واطمئنان .. وحياة هادية
معاكم ."

"تفتكري أنني هأقول ضحيت وقاسيت عشانكم؟! "

لا طبعًا .. أنا رجعت لشغلي واطلمت أكثر عن الحياة

وكل لحظة في حياتكم كانت مناسبة سعيدة بالنسبة لي .. "

ضحكت وأكملت : "يوم ما كملت ثلاثين سنة كان أول يوم لك بالمدرسة ..
كانت صديقاتي من عمري زعلانين .. وبيرفضوا يقولوا عندهم كم سنة .. لكن
أنا كنت فرحانة بفرحتك بالكتب والمدرسة .. "

إنت عارفة؟ أول شعرة بيضاء شفتها في شعري يوم جواز أختك وفاء .. "

فاضت دموع السعادة مع ضحكتها وهي تكمل: " كنت فرحانة بشعرتي
البيضاء وأتمنى قريب أبقى جدة .. "

وما أنساش يوم ولادة ريماس بنت أختك .. تعبت يومها وأنا معاها
بالمستشفى من القلق .. وأصر أحمد أنني أكشف

وعرفت أن ضغطي مرتفع .. ومحتاجة علاج مستمر .. كنت مش بركز كثير
مع أعراض المرض اعتقدت أنه شوية صداع وهيروح لحاله زي ما بيقولو
.. "

" ربنا دائماً كان مديني حاجات تغطي فرحتها على وجعي رحمة منه ..فما كنتش أحس بالوجع أصلاً .. كنت واثقة من كرمه ورحمته بيا "

" إنت كمان .. لازم تكوني واثقة بتدبيره لأمورك سبحانه .. ويكون عندك الثقة أنك تاخدي خطوة لقدام ..إذا رفضتي العريس بعد ما قابلتيه إيه المشكلة !؟

لكن قبل كدا وبدون أي مبررات وتوجعي قلب أمك ؟"

كانت دموع سلمى قد أغرقت وجهها تنزل في صمت .. دموع خانت قوتها المرسومة .. خانت حصار عقلها بالكتمان .. مسحتها بظهر يديها ..

لتهمس بخفوت : " هقابه .. متزعليش " ..

عناق طويل ساد الموقف بعدها .. كفكفت صابرين دموعها .. ضمت ابنتها إليها تبعد عنها قلقاً حول

مستقبلها الذي حاكت الظروف فيه بعضاً من خيوط الماضي .. خيوطاً لا تدري لأي مدى ستؤثر فيه ..

كانت سلمى بين ذراعي أمها تتشد أماناً بعثره قلقها من مجهول بالنسبة إليها .. قلقاً حال بينها وبين أن تطمئن .. بعثر فيها مشاعر لم تعد تستطيع السيطرة عليها ..

انصرفت صابرين بعدها وأوت سلمى لفراشها تلتمس خيوط نوم تحيك بينها أحلاما تتمناها وردية ..

نعم لابد أن تقتحم هذه الخطوة .. لأيام وشهور وسنوات كانت ترفض وتتحجج كلما طرق بابها خاطب .. لما بالضبط لا تدري .. تكون سعيدة ككل فتاة ترغب أن يضمها وزوج صالح عش هادئ .. مستقبل وأسرة جديدة .. لطالما سمعت

" عقبًا لك " .. خصوصًا بعد زواج أختها الكبرى .. لتغمر حمرة الخجل وجنتيها .. وترد بتمتمات خجلى بالشكر..

وحينما يحين وقت مقابلة العريس كانت تجد دقائق قلبها مضطربة ملتاعة .. فتبادر لخلق أسباب اعتذار لم تعيينها يومًا وهي صاحبة العقل النابغ .. فتارة هي قلقة من الزواج والخطبة مع الدراسة .. وتارة عمر العريس لا يناسبها .. وتارة قلقة من عمله وما يرسمه من خطوط مستقبليه .. وأبيها للحق لم يألوا جهودها لإقناعها ولمحاولة فهمها مرة بعد مرة لاستيعاب أسباب رفضها ..

لا يريد أن يرسم مستقبلها بشكل لا يسعدها .. ينتظر وينتظر طمعًا في سعادة يراها تلتهم يومًا في عينيها كعروس جميلة ..

فركت كفيها بتوتر غداً تم تحديد اليوم المرتقب لمقابلة العريس المنتظر .. سترضي أبيها وأمها وتجفف منابع قلقهما .. ستقابله .. لن تضر مقابلة !!

في الصباح استيقظت سلمى بنشاط .. رتلت بعض آيات القرآن الكريم .. فتحت نافذة غرفتها لتتخلل خصلات

شعرها نسمات الهواء المعبقة برائحة البحر المميزة .. لكم كان رفيق عمرها وصديقها الصدوق .. أجمل لحظات حياتها كانت تشاركه إياها و أسوأها أيضًا .. يكفي أن تقف أمام أمواجه الهادرة وروحه القوية .. لتبثه مكنوناتها وتعود من حيث أنت بعدما عانقت قدمها مياهاه .. لتعود بوجه غير الوجه الذي التفته به.. ماذا أقول لك اليوم يا صديقي .. تنهدت تفكر ..

كتومة هي لا تتقن البوح .. فتظل أفكارها حبيسة عقلها وقلبها ولا يشي لسانها بالكثير حتى لو أرادت .. ولولا دعوات تجري على لسانها بسجودها لماتت مختنقة بكثير من الأفكار والمشاعر الحبيسة ..

لديها الكثير من الخطط اليوم.. عليها ترتيب المنزل مع

أمها.. وطبعًا الاستعداد لمقابلة العريس المنتظر .. حسنا ربما عليها مهاتفة
نسمة عليها تساعدها أو تخفف من توترها ..

رن الهاتف مرة واثنان وأكثر حتى انقطع الرنين .. يبدو أن نسمة مشغولة
فركت أناملها بانزعاج .. تبعثرت نظراتها بالغرفة يمينًا ويسارًا .. لمعت
عينها شغفًا واستقرت على مكتبها .. اتجهت إليه تتوزع نظراتها بين الأوراق
واللوحات والألوان والفرش . هوايتها الأثيرة .. وهل أجمل من أن تتابع
الحياة في صورة.. تبحث في مكنوناتها .. لمحت مفكرتها الصغيرة منزوية
بالطبع وردية بلونها المفضل ..

التقطتها والتقطت قلم رصاص ..

"مفكرتي العزيزة ..

كانت الفرشاة دائمًا صديقة بوحى ..

لكنى اليوم أحتاج حقًا أن أكتب..

أن أبوح بأحرف وكلمات ..

لك فقط ..

تائهة أنا ..

خائفة ..

ترى ماذا أفعل؟!!

دومًا كان لوني المفضل الوردى ..

ألا يدل هذا على أنى متفائلة؟!!

لما يغلب خوفي قلقي؟

لما ترتعد أوصالي ؟

أنا حقًا أتمنى حياة وبيت خاص بي ..

وزوج أسكن إليه..

وصغار يشبهوننا ..

بل إنه حلم جميل ..

لكن ترى هل تتحقق الأحلام في الواقع؟!!

أم تبقى مجرد أحلام تحت ركام الواقع الثقيل ..؟؟

نعم أحب فستان خطبة كفساتين أميرات الحكايا ..

بذيل منتفخ ..

بالطبع وردي ..

وتاج مرصع بالماسات ..

لو كانت زجاجًا أنا لا أهتم

أشتاق لزهور بلون فستاني أحملها بخجل حين يهديها لي أميري ..

لكن مالي أرى ضبابًا يشوه صحو سماء حلمي؟!!

ما به عقلي وقلبي؟!!

هل هو محض قلق زاد عن حده؟!!

طرقات على الباب فاجأتها لتدس المذكرة بين أوراقها .. أطلت أمها من فتحة

الباب ..

"إنت لسه مجهزتيش!! العريس وأهله في الطريق .. وبابا مستنيهم بره."

نهضت ترتدي ما حضرته مسبقاً من ملابس .. نفت حجابها بشكل أنيق
ومرتب .. ألقى نظرة أخيرة عميقة على صورتها بالمرآة .. وكأنها تحاول سبر
أغوار نفسها .. تنهيدة حارة .. ثم تحركت للخارج ..
"تعالى يا سلمى "

كان صوت أبيها يحثها للحضور .. بخطوات خجلى مرتبكة .. ووجنتين تشربتا
حمرة الزهر خجلاً .. وأعين ترنو الأرض في حياء .. تقدمت سلمى نحوهم ..
واختارت أقرب كرسي لأمها وجلست .. بعد أن تمتت بالتحية بصوت خافت ..
أنيقة هي .. تحمل جمال خاص بها .. لكن أجمل ما زينها كان هذا الحياء
الخاص .. كان العريس ابن صديق قديم لوالدها سافر للخارج وعاد أخيراً
لينشأ شركته الخاصة .. وقابل والدها وكأنهما كانا معاً بالأمس فعلاقة
صداقتهما القوية لم تؤثر عليها سنوات بعاد .. وساعد هذا على تقارب سريع
بين العائلتين أفضى لهذه الخطبة .. تكلم الحاج أحمد محاولاً خلق جو من
الألفة : "سلمى بنتي ما شاء الله عليها في آخر سنة في كلية صيدلة .. طبعا
عمك إبراهيم عشرة عمر .. " ضحك مسترسلاً : " قابلتيه كثير وإنت صغيرة
.. ويمكن تكوني قابلت تامر كمان مرات " ضحك الوالدان بأريحية ..
شاركهما تامر وابتسمت سلمى مجاملة .. تامر: "أهلاً آنسة سلمى .. أنا تامر
.. اتشرفت بمقابلتك .. طبعا قابلت نفس المصير المحتوم

ومهندس زي والدي ووالدك " كان يتكلم رافعا كتفيه علامة استسلام للواقع
رفعت عينيها إليه مبتسمة : " أهلاً و سهلاً " لاقت عيناها بدفئها عينيها
الزرقاوين .. شيء من الصقيع وصلها عبرهما . رجفة سرت بأوصالها .
أنقذها منها صوت أمها : "يسلم ذوقك يا تامر الورد جميل "

التفتت لما تومئ له أمها كانت باقة رائعة من زهور الورد تجمعها معاً شريطة
خضراء .. أخذت شهيقاً تلتمس عبير الزهور الذي تعشقه .. انتهى زمن اللقاء

القصير .. وبدأت الأفكار تنهش عقلها .. هل توافق؟ يا إلهي ما أجمل سعادة أمها وفخر أبيها بها .. سعادة لا يمنعها عنها إلا رفضها المتكرر .. بدأت تقضم أظافرها بتوتر .. بما ستجيبهم الآن؟!

أمسكت لوحة بيضاء .. لطالما أحببت الألوان .. تأسرها فلسفتها .. الأبيض كنعاء أمها وتفانيها .. أسود ملك الألوان .. كحزم أبيها وغموضه أحياناً .. الأزرق .

وحينها تذكرت عيناه ومدت فرشتها للون الأزرق .. ترى ماذا يعني لي؟ رسمت خطوطاً زرقاء .. ترى هل

هو أزرق السماء الصافية؟! هل يتماشى مع ورديتها وأحلامها؟! بعث طفولي مدت يدها بالفرشاة تخط الوردي بالأزرق ..

علت إمارات الدهشة وجهها ولاحقها بعض الانزعاج .. الناتج بنفسجي داكن .. لون لم تحبه يوماً .. ألقت الورقة بعيداً تبعدها عن ناظرها .. هل تكفي نظرية الألوان لتأخذ قراراً هاماً .. كلا بالطبع .. لكنها تسربت بداخلها تاركة أثراً ..

نعم حياتها مليئة بالألوان الخاصة بها .. ألوان تعني لها الكثير ..

برتقالي نسمة بكل نشاطها وحيويتها .. تصميمها وعزمها

أحمر وفاء تجعلها تقلق عليها كلما رأتها رغم فيض السعادة والبهجة الذي تبديه دائماً ..

بنفسجي نهلة .. لطالما أحستها أشبهن بها .. تملك شيئاً من ضعفها ليست بقوة وفاء ونسمة .

بل كزهرة لافندر بنفسجية . رقيقة هادئة ناعمة .

واحتكرت ريماس ابنة أختها مع ابن نسمة وأطفال نهلة مزيج رائع من كل الألوان فلم ينضجوا كفاية لتري ألوانهم بوضوح.

ألوان لطالما زينت حياتها فهل يمكنها أن تضيف لون جديد يكون إضافة جميلة دون أن يخرب جمال وإبداع لوحة حياتها ؟ دون أن يصنع فوضى؟
دون أن يطفى لونه على كل لون آخر ؟ .



الفصل الثاني

مفترق طرق

عن اختيار يعقبه تحديد طريق أو مصير..

قرار لا تصبح الحياة بعده كما كانت قبله

قرار كانت تهرب منه والآن مضطرة لمواجهته..

شخص لم تعرفه أبدًا يصير أقرب لها من أي أحد آخر !!

يشاطرها باقي أيام حياتها ..

تبدو الفكرة ليست مجرد نزهة أو وقت لطيف !!

كعادتها كانت تبوح للوحة جديدة عادة تبدأها بآخر الأسبوع أيام أجازتها
وتكمل رتوشها باقي الأسبوع ..

تحيل بياضها لألوان ممتزجة تبوح بما تشعر به

لوحة جاور أبيضها الأسود دون امتزاج في إطار مميز ..

وزينتها زهور بنفسجية بكل درجاته وصولاً للوردي الفاتح ..

زهور برتقالية بكل حيويتها وبهجتها ..

مع بعض رتوش من اللون الأحمر ناقدت

هدوء اللوحة بتضاد خلاب..

رنين الهاتف أجبرها على غلق صنوبر تأملاتها .. كانت نسمة ..

سلمى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسمة بصوت حزين : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عارفة إنك اتصلت أكثر من مرة .. آسفة إني مردتتش .. لو تعرفي قد إيه مرهقة .. يحيى والبيت وطبعًا حسن كمان .. والمذاكرة .. تنهدت : يا ربي امتي الأقي شوية هدوء؟! سلمى: الله يعينك .. معلىش .. ثم أكملت بتردد : كنت عاوزة آخذ رأيك بخصوص عريس اتقدم لي ..

زغرودة على الجانب الآخر زلزلت كيائها لتهتف: نسمة اسنتي .. يا بنتي أنا لسه ما وافقتش

أصلًا يا مجنونة !!

ضحكت نسمة : يا ستي بشرة خير .. ومين سعيد الحظ؟

أوجزت لها سلمى ما تعرفه ثم صمتت نسمة : أنا شيفاه مناسب جدًا .. شهادة جامعية مناسبة ..باباه صديق لعمو أحمد .. وبتقولي أنه وسيم .. تبعت كلماتها بضحكة خافتة ذات مغزى لترد سلمى بغضب تداري خجلها : أنا مقلتش كدا .. حقيقي إنت مزعجة يا نسمة ..

نسمة : أنا بهزر متزعليش .. فكري كويس وإن شاء الله قرار موفق .. صوت بكاء ياسين الصغير قاطعهما كما هي العادة .. لتتذمر نسمة كما العادة أيضًا وتعتذر وتغلق الخط ..

لتقرر سلمى إنهاء ضجيج أفكارها بالنوم والصبح رباح كما يقولون .. وربما يساعدها اللقاء بينهما على أخذ قرار .. ربما ترتاح لشخصه فتقبل دون تردد .. وربما تشعر بنفور تام فترفض ..

وفي الصباح كان الضجيج حولها يملأ المكان .. أختها وفاء توقظها وابنتها ريماس تقفز فوق السرير .. فتحت عينيها بتثاقل ..

سلمى بدهشة : وفاء !! هو أنهارده الخميس؟ !

وفاء بابتسامه عريضة: ازيك يا عروسة؟

نهضت متفاجئة بتوتر : عروسة !!!

يا ربي أنام و أصحى على نفس الموضوع!! .. هو مفيش أي حاجة تانية ..

وفاء وهي تحمل ابنتها لتجلس في حجرها: احنا نتمنى أننا نفرح بيكي ومعاي حبيبتي .. الجواز سنة الحياة .. تهيدة حارة كانت من نصيب سلمى كأبلغ تعليق يعبر عما تشعر به ..

وفاء بهدوء تحاول أن تفهم ما توصلت له أختها : فكرتي؟!!

قابلها احمرار وجنتي سلمى ودوران عينيها في محجريهما وقد تسارعت أنفاسها بوضوح ..

ضيق بين عينيها وقالت بتردد تحاول التأكد مما يدور في عقل وقلب أختها : هو أنت مرتبطة بحد؟ ليه دايما ترفضني؟ أنت عارفة أنا وجوزي كنا مع بعض في الجامعة واتجوزنا عن حب و بابا معارضش ..

قفزت من السرير صائحة بغضب : بجد كدا كتير !! طيب أنا مش مرتبطة ..

زفرت بقوة هامسة: أنا .. أنا بس قلقانة ..

وفاء بابتسامة رقيقة : طيب يعني موافقة؟!!

أحنت رأسها بخجل وأومات أن نعم ..

احتضنتها وفاء مع كثير من دموع الفرح المنهمرة تلتها زغرودة من أهمها سعادة وفرحًا .. كان وجه سلمى يحمل خريطة عجيبة من المشاعر .. تلون وجهها أمارات فرحة يشوبها قلق ..

حتى الصغيرة ريماس كانت تضحك لاستشعارها جو البهجة من حولها وجرت واحتضنت سلمى كما فعلت أمها ..

حضر والدهما في المساء وبارك قبولها الخطبة وانصرف راضيًا على وعد بتدبير ما تحتاجه من طلبات وغيرها للإعداد ليوم الخطبة الأسبوع القادم ..

ولم تمنع الإعدادات للخطبة من التزام سلمى بحضور المحاضرات فهي اعتادت التفوق .. وكانت أمها ووفاء يساعدها بشراء ما يلزم .. وفي اليوم الأخير قبل الخطبة ذهبت مع نسمة لاستلام فستان الخطبة .. اختارته بلون القهوة تبحث فيه عن دفء وعقلانية تحكم حياة تبدأها ..

رغم أن الوردي لونها المفضل لكن دفء القهوة داعب قلبها وقفت أمام المرأة وعينا نسمة تجول وتتصوّل على كل التفاصيل لتطمئن أنه أنجز كما أرادوه بإتقان .. قالت نسمة مبتسمة : جميل ومميز زيك حبيبتي

..

لندعوها نسمة : يلا يا سلمى اتأخرنا

نفضت سلمى عنها غبار كلماتهن السخيفة ونظراتهن الحاقدة التي مازالت تعلق بذاكرتها ..

وأسرعت تستبدل الفستان بملابسها العادية وتضع حجابها .. وخلال لحظات كانت الفتاتان تسيران متجاورتين في طريقهما للمنزل ..

نسمة: سلمى ايه رأيك الكوافيرة تجيلك عندنا يوم الحفلة؟

سلمى بتفكر : اشمعنى بقى؟

نسمة: هيكون جميل أنك تكوني جاهزة وتروحي بيتكم كمفاجأة حلوة !!..

سلمى : فكرة لطيفة .. لكن بس يا ترى ماما هتوافق؟

نسمة وهى تضربها في كتفها برقة : إن شاء الله توافق .. أصلاً البيت قدام البيت موضوع بسيط ..

وأختك وأختي هيكونوا معاها يساعدها ويستقبلوا الضيوف .. اتفقنا يا عروسة ؟

ابتسمت سلمى نعم هي عروس أخيراً

طالما كانت للمشاركة بينهما طعم خاص .. صديقتان وجارتان وكأنهما توأم .. يقويها دائماً حسن علاقة الأسرتين معاً..

فأم سلمى صابرين عاشت تربي ابنتيها وترعاها صحیح أن زوجها كان موجوداً ومسانداً رغم زواجه من أخرى لكن بقى جانب من حياتها به من الوحدة الكثير .. وأم نسمة فاطمة توفى زوجها وترك لها ابنتين وولد..

فكانت الجارتان نعم السند لبعضهما في السراء والضراء في ظل مجتمع كثيراً ما يظلم مطلقة أو أرملة..

في اليوم التالي كان الاستعداد على قدم وساق للحفل .. حضور بعض المقربين والأصدقاء .. علقت الأنوار لتضفي على البيت والشارع بهجة مناسبة سعيدة في الحي .. الكل يهنئ ويبارك وتعرض النساء المساعدة على أم سلمى بعشم ودفء العشرة الطيبة..

وافقت أم سلمى أن تكون زينتها ببيت الحاجة فاطمة أم نسمة. وتبقى نسمة والحاجة فاطمة معها .. على أن تذهب نهلة أخت نسمة لتساعد في استقبال الضيوف مع وفاء ..

كانت سلمى تجلس بهدوء ظاهر على حناياها .. هدوء يحمل ضجيج قلبها الذي لا يسمعه سواها .. توتر لا حدود له .. فأصبحت كتمثال شمع فقط ترمق فستانها ربما لتؤكد لنفسها (أيوة أنا العروسة)

تترامى لأذنيها نغمات أغاني الأفراح .. أغاني كانت تسعد بها وربما تتمايل وترقص مع صويحباتها ليلة خطبة إحداهن .. ربما تميل على صديقتها العروس لتغيظها بكلمة مازحة وتضحك من قلبها .. لم تكن من قبل تصغي لتفاصيل الكلمات .. لمعاني أغاني الأفراح .. لكنها اليوم العروس .. كل هذه الكلمات لها .. لماذا يبدو وقع الكلمات مختلفاً ..!؟

تمر أصابعها على زهرات الدانتيل بفستانها بشرود وشبه ابتسامة على وجهها حائرة .. تخطف بصرها بعض فصوص تناثرت عليه لتضيف بعض البريق .. لطالما قالت سيكون فستاني وردي .. لكنها حين دخلت محل الفساتين ورأته نسيت كل شيء إلا جمال ودفء هذا الفستان .. أغمضت عينيها وأصابعها تلتلمسه كما تغمضي عينيك تبحثين في مذاق رشفة قهوة بفمك بدفنها تزيل القليل من برد الجو حولك ..

رشفة بعد رشفة تطمئنين نفسك أنا بخير .. سيغزو الدفاء أوصالي طارداً برداً أزعجني

نعم كانت تطارد بالدفاء المنشود صقيع حياة أسرية مستقرة نعم لكن بلا دفاء حقيقي ..

لم يجتمعوا صغاراً ليندسوا تحت الغطاء مع أبيهم وأمهم وقت البرد ..

لم يأت أبيها ليصحبها من المدرسة كل يوم كصديقاتها ..

لم تجلس معه لتحكي له قصصها مع صديقاتها

تفاصيل رحلتها مع المدرسة ..

لم تذهب لترتمي بأحضانها طالبة الدلال بعد معاقبة أمها لها ..

كانت حياة محايدة .. بلا فيضان مشاعر أسري بكل مشاعر الحب والوئام أو حتى مشاعر الغضب والانزعاج!!

فقط حياة رسمية بين أبيها وأمها كانت تسود الوضع .. علاقة دبلوماسية حرصًا على مصلحة

البنات .. هو يأمن المال والمأوى والسند.. وهي تُأمن الخدمة والتربية اليومية..

نفضت رأسها تبعث أفكارًا تميد بها عنها ترحل عنها..

وبالفعل أنقذها منها إطلالة نسمة من فتحة الباب الشبه مغلق ويحيى متشبث بها يشد ويقطع خصلات شعرها في مشهد رسم بسمتها تخبرها : الكوافيرة وصلت يا عروسة ..

أومات برأسها

دقائق وكانت ترسم ملامحها تظهر رقبتها بلمسة بعد لمسة..

رفعت وجهها إليها : (زي القمر يا عروسة ربنا يسعدك

دقائق أخرى وكانت جاهزة .. لتبهر نسمة وأمها بجمالها الهادئ .. وقد تماشى لون الفستان مع شعرها وبريق عينيها بشكل جذاب ومحبيب..

احتضنتها نسمة كانت تشعر كأنه يوم خطبتها هي لا تسعها الفرحة .. دمعت عيناها وهي تتشبث بها..

نسمه: "قمر ربنا يحفظك يا أحلى أخت"

ظلت الفرحة عيون سلمى وأضاءت وجهها..

لتقول سلوى: "يلا يا بنات .. أم العروسة اتصلت أكثر من عشر مرات
تستعجنا .. "

لحظات الفرحة لحظات مملوءة بالمشاعر..

ما بين مشاعر صديقتها المقربة وأمها التي تعد بمقام خالتها .. وبين عيون
أمها التي تملأها بدموع الفرحة .. وبين نظرات أبيها الحنونة التي لا يصف
نظرتها اليوم أي كلام .. وشقيقتها المرححة وفاء التي تحاول مع نهلة إضفاء
المرح على الجو المشحون بالعواطف..

تجمد المشهد لثواني هي بعمرها كله .. قبل أبيها جبهتها يتذكر يوم مولدها
لقد مرت السنوات وكبرت الصغيرة .. أين كان طوال تلك السنوات وكيف مرت
كالبرق!! !

تدخلت شقيقتها وفاء بمرح : ادخلوا يا جماعة .. أنتو هتقضوا اليوم واقفين
هنا!! عاوزين نفرح)

..

نعم تحتاج قلوبهم جميعًا للفرحة)..

انطلقت الزغاريد من بعض الحاضرات..

أفسح الجميع الطريق لتراه قادمًا نحوها بكامل أناقته .. وقد لبس رابطة عنق
تتناغم مع فستانها .. سحب كفها برقة وقد تملأها عيناه بمشاعر متزاحمة..

تخضبت وجنتاها باللون الوردي وأسبلت جفنيها بخجل .. ليجلس العريس
والعروس بالمكان المحدد لهما..

ويوزع مشروب الفرحة (الشربات) مع بعض أحاديث جانبية هنا وهناك
وبعض الكلام المتناثر حول جمال العروس ووسامة العريس.

ولا يخلو الأمر من بعض الممازحات والتعليقات اللاذعة التي يدمنها البعض..
ندت من بين شفتي وفاء شهقة التفتت تبحث عن أمها .. رأتها واقفة هناك ..
نعم لقد رأتها مثلها .. شيء بارد تسلل لقلبها .. شعور مر بحلقها .. لطالما
حاول والدها التقريب بين أسرته وزوجته الثانية..

محاولات تذكر كم كانت تسيل مدامع أمها .. لتقولها له في النهاية : " أرجوك
متعشب قلبي أكثر "

" خليني أحفظ قلبي من أي مشاعر غيرة وألم .. مش عاوزة أشوفها ولا
أسمع عنها في بيتي وبين أولادي "

من وقتها لم يعد والدها محاولاته مرة أخرى اكتفى أن بينهما علاقة احترام لا
تكيد إحداهن للأخرى..

نعم يكفي أمها أن رضت بأن تتنازل عن زوجها لصالحها..

ويكفي الثانية أن حظت بقلب أبيها وأيامه..

كان القدر عادلاً منح الأولى أطفاله..

ومنح الثانية زوجاً وحبیباً ولكن لم يقدر لهما أطفال..

ودأب هو يحاول أن يكسب البيتين كليهما..

كان ربما يأخذ طفليته ليزورا زوجته الثانية خلسة .. مع وعد منهما ألا يقولوا
لأمهما وتحسنا التصرف مع خالتهما كما كانتا تدعوانها.

كانت ابتسامة متوترة تزين وجهها وهي تتقدم نحو العروس .. ليحضر أبيها
مندهباً من وجودها قلماً..

التقت كفها بكف العروس : " مبروك يا سلمى " ..

نهضت سلمى تصافحها وتقبلها .. لطالما شعرت بها تحبهما كابنتيها تتلمس فيهما أبناء لم تتجبهم .. كانوا قطعة من زوجها .. أحببهم كما أحبته..

خجلت سلمى من نفسها أنها لم تدعها للحفل..

لاحظت شحوب وجهها الجميل والحلقات السوداء حول عينيها .. ووهن عام

..

ليصل والدها بهذه اللحظة يمسك كفها يهمس بأذنيها قلقاً .. يجلسها بحرص على إحدى المقاعد.. وسط وخز في عيني من تتابع المشهد من

بعيد .. مشهد لا تدري هل حرمها هو منه أو حرمت هي نفسها منه

باختيارها بالابتعاد عنه كزوجة لتضع نفسها في خانة أم أولاده فقط .. ورغم كل محاولاته لاستعادتها .. خافت

على قلبها من كسر جديد ورفضت .. مرات عديدة حاول استرضاءها حتى يأس واكتفى من المحاولات..

كف ابنتها الكبرى على كتفها أعلمها أنها تشعر بها .. ابتسمت صارت ابنتها كأغلى أخت وصديقة لها..

شيء من الخجل كان بعيون ابنتها وفاء:..

"ماما .. بابا قالي إنها تعبانة جداً .. يمكن مش باقي لها كثير من الوقت . أنا زرتها معاه أكثر من مرة بالبيت والمستشفى .. طلبت كثير تقابلك ومقدرتش أقولك وقتها .. لكن واضح أن رغم تعبها قررت تيجي بنفسها.. ممكن بس تسلمي عليها؟!"

كانت نظراتها تهرب عن عيون أمها .. تخشى مواجهتها..

"في الآخر هي ضيفة وفي بيتنا"

لتنطق أمها وعيناها تتعلق بمقعدها تلمح ارتعاشه كفها وزوجها يصر أن
تشرب بعض العصير..

أغمضت عينيها تخرج تنهيدة محبوسة..

غلبت طيبة قلبها..

تقدمت منها بحرج: "أهلاً وسهلاً .. نورتينا" ..

رأت شيء من الدمع بعيني الجالسة قبالتها. . تلملم رباطة جأشها .. تبحث
عن قوى خارت لتنهض تصافحها.. وكأن آخر قواها استنفذت في طريقها
للحضور..

تصافحت أيديهما في لقاء كتبه القدر .. تأثرت به الابنتان .. واضطر زوجهما
للابتعاد تاركاً لهما مساحة..

مساحة للقاء ربما يكون الأخير وهو أيضاً الأول بعد زواجه منها..

لحظات وبدا كأنه اكتنفها دوار شديد .. فزادت من تشبثها بأم البنات في رد
فعل تلقائي..

لتأتي الابنة الكبرى لتصحبها لترتاح بالداخل..

وتقف صابرين مشدوهة .. تتذكر آخر مرة رأتها في شبابهما .. لم تكن هي
هي..

موجة من الصفيق الحار والتشجيع أخرجتها من دوامة الأفكار..

كان العريس يقدم لعروسه هديتها الذهبية "الشبكة " مستنداً على إحدى
ركبتيه .. فاتحاً العلبة .. رافعاً بيده

الأخرى لوحة مزخرفة بالقلوب مكتوب عليها "هل تتزوجيني.. "

كانت عيني كل الفتيات الحاضرات الآن يسودها الانبهار وقد أخذت شكل قلوب ..

للعريس والجري للباقيين .

بقى العريس وقت بسيط هو وأهله بعد الحفل ورحلوا لتتفاجأ أم العروس أن
ضرتها فعلياً مريضة وترقد في غرفة ابنتها الكبرى التي كانت معها طول
الوقت..

اقتربت من باب الغرفة تدقه بهدوء..

"ششش"

همست ابنتها..

"نامت"

وخرجت معها للصلاة

وقبل تبادل أي حديث عاد أحمد..

بدا قلقاً منزعاً: "أنا آسف على الإزعاج"

وتوجه لمن كانت ترمقه بلا قدرة على الكلام: "أتمنى إنك تسامحيها.. هي
كانت عاوزة تعيش الفرحة معاكم مش أكثر

لم يجاوبه أي رد غير نظرة كسيرة اكتملت بدمعة وابتسامه لا معنى لها أبداً
في هذا الخليط..

فخفض وجهه أرضاً

"إحنا هنمشي دلوقت "

"بابا صحتها مش هتتحمل سفر دلوقت"

نطقها صابرين دون تفكير : "ممكن تباتوا انهارده هنا"
زاد وجهه انخفاضًا للأرض

"شكرًا.. هنمشي .. تصبحوا على خير"

خلال دقائق معدودة أيقظها بلطف أسندها للخارج .. وعبروا الباب مودعين
شاكرين..

وهي مازالت واقفة تتأمل الباب غير مصدقة لكل أحداث اليوم!!

ومنذ ذلك اليوم بدت أيام سلمى مختلفة يزورها خطيبها كل أسبوع .. تعد له
أمها كل ما لذ وطاب..

كان أبيها حريصا على حضور زيارة الخطيب..

يحكي طرفة ما أو يتجاذب معه أطراف الحديث .. بجو أسري كان أفضل ما
يكون..

وأحيانًا تعزم أمها أهل الخطيب أبوه وأمه وإخوته وأختها وزوجها و طفلتها..

يسود الجو مرح وسعادة..

وللحق كان خطيبها لا يقصر..

فمرة علبة شوكولا فخمة..

ومرة هدية ذهب..

ومرة ومرات مع مزيد ومزيد من الهدايا..

لم يكن ينقص أي من الهدايا طريقة التقديم الراقية والمميزة..

لو كانت تعلم أن خطبتها ستجمعهم كأسرة كثيرًا ربما لوافقت منذ زمن!!

كانت هذه الأفكار تغزو رأسها وهي تتحرك على درجات السلم لتطرق الباب على جارتهم الصغيرة..

كل معلوماتها عنها أنها تماثل أختها الكبرى في العمر تقريبًا .. لها طفل صغير تسمعها تغني له دائمًا بصوت هادئ رقيق..

طرقت الباب بحرج..

لم يفتح الباب بعد عدة طرقات..

يا للحرج ربما نائمة .. أو بالخارج..

همت بالصعود لتسمع صوت الباب يفتح..

طالعتها عينين عسليتين .. شيء ما يخاطبها فيهما .. كأنهما تقولان رسالة لم تفهمها .. اكتفت بالابتسامة كخير رد..

سلمى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ندى : و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أ أهلا..

كانت ترتجف فعليا وكأنها تقابل وحشًا..

أجابت سلمى بابتسامة : أهلاً بيكِ..

أنا سلمى..

ندى بفرحة بريئة: العروسة..

سلمى : أيوة هههههههه أنا العروسة..

ندى مفسحة لها الطريق : اتفضلي..

قالتها بخرج بعدما لاحظت أخيراً طول وقفتهم على الباب..

دلفت سلمى للداخل كانت لازالت تحمل طبقاً : ماما بعثالك السلام و بتقولك العمارة نورت بيكم ..دا حاجة بسيطة من عمائل ايديها .. ومنتظراك تزوريها بأي وقت يناسبك

ازدادت علامات السعادة على وجه ندى حتى خيل إليها أنه تلاً..

كانت سلمى أول مرة تقابل الجارة الصغيرة .. فهي هنا من وقت ليس بالطويل .. لا تخرج أبداً .. حتى حين مرت أمها عليها تطلب منها حضور الحفل اعتذرت..

ندى: تسلم أيديها..

وانصرفت للمطبخ بخطى كأنها رفرفة أجنحة الفراشات..

كادت سلمى تقفز هلعاً حين أحست وكأن قطاً يتمسح بها .. لكنها تماسكت في اللحظة الأخيرة حين لمحتة .. كان الصغير يشبه أمه عينين عسليتين بشرة ناصعة مشربة بحمرة محببة وابتسامة ولا أروع أهداها لها وهو يستكشف هذا الكائن الغريب الذي غزا منزلهم

..

عادت ندى من المطبخ تهوول تحمل فاكهة وسكيناً..

سلمى: لا متتعبيش نفسك أنا لازم أمشي حالاً..

ندى: لازم تقدي شوية دي أول مرة تنوريني

أحبته سلمى ودخلت قلبها وأهدتها اللون الذهبي بجدارة كلون عينيها وشعرها .. وبسمتها المشرقة كشمس تنير ما حولها..

طرقات متعجلة على الباب قطعت حوارهما..

لتنفض ندى : حاضر ..

فتحت الباب بسرعة دلف زوجها في شيء من الخشونة قائلاً : اتأخرت
ليه؟!!!

تلعثمت وتاهت منها الكلمات .. ترد أنه تخبره لم أتأخر .. بل يجب أنه تخبره
هناك ضيفة..

لم تعد بحاجة للكلمات فقد دفعها من أمامه داخلاً بغضب لتصطدم عيناه
بالجالسة بصحن المنزل..

فترجع عيناه إليها بدهشة : مين دي!!



الفصل الثالث

أشعة ذهبية

أحياناً نشعر أننا تواجدنا في المكان غير المناسب.. أنها ليست اللحظة المناسبة..

أنا يجب أن نبتعد..

بعض الناس تقابلهم فتشعر بالألفة وكأنكم تقابلتم منذ دهر..
يشعرك وجودهم بالسكينة.. بالسعادة..

وبعض الناس تشعر كأن هناك ذبذبات حولهم تترك شيئاً ما في روحهم
يزعجك.. بلا سبب تتوجس منهم.. هل هي الحاسة السادسة؟!!

فترجع عيناه إليها بدهشة: مين دي!

وجدت الكلمات هذه المرة لتحاول رسم البسمة بتلعثم: دي العروسة بنت
جارتنا..

دمدم بحروف: مبروك..

همت سلمى بالرحيل: الله يبارك فيك شكراً.. عن إنكم..

طافت عيناها بوجه الصغير ووجه ندى.. كان وجههما شاحبين.. لم تجد ما
تقوله فاتصرفت وكأنها تهرب من شيء يزعجها لا تدري كنهه..

كانت معظم الأيام تمضي في رحلتها الدائبة من وإلى الجامعة لإنهاء آخر
أيامها بالجامعة لم تنس سلمى بعض أشياء تمثل تفاصيل لطيفة في حياتها..

فكانت ربما قضت اليوم مع نسمة وطفلها ونهلة وأطفالها عند أمهما، أو تذهب للتسوق وشراء بعض الأشياء مع أمها أو ترسم وتخلط الألوان كعادتها المحببة.. دائماً ما عشقت التفاصيل الصغيرة التي ربما هي ما تضيف نكهة للحياة..

كلها تفاصيل تسلي أيامها في انتظار اليوم العائلي الدافئ آخر الأسبوع.. هديتها التي دائماً ما تنتظرها كخير ختام..

بحضور تامر ضيف الشرف وأبيها ووفاء وزوجها وريماس.. ومعهم جميعاً كانت تحضر بسمه أمها..

وكأنها كانت تشتاق لمة العائلة مثلها بل وأكثر..

نشاط مفاجئ يدب في المنزل بهجة وفرحة المشاركة للطعام وتجاذب أطراف الحديث ومتابعة حركات وكلمات ريماس اللطيفة التي تبعث جو من المرح..

كان هذا محور حديث نسمة وسلمى في طريقهما للمنزل.. تبث كل منهما أفكارها بحلوها ومرها.. تشاركها المشورة والرأي..

سلمى ضاحكة: صدقيني يا نسمة كان موقف صعب جداً وريماس كانت مصرة تكمل وتأكل باقي الطبق للسجادة وأنا بحاول معاها أبداً.. مقتنعة جداً إنها بتأكل العروسة اللعبة.. بابا أحمد اللي اتصرف معاها وأقنعها..

صمتت تستعيد أنفاسها تغيرت نبرتها قائلة: صدقيني يوم الجمعة دا بالأسبوع كله.. بوجود الكل بيبقى يوم مختلف..

نسمة بسخرية: بوجود الكل ولا بوجود العريس؟

وكزتها سلمى: والله إنت مفيش فايدة فيك..

وعادت تكمل: أنا فعلاً منكرش بدأت أتأثر بتامر.. وجوده بالنسبة لي بقى
أساسي.. مش عارفة دا إيه.. حب ولا تعود.. مش مهم المسميات..
دائماً وجوده بيحمل فرحة..

وجوده بيجمع العيلة.. وجوده بيعني هدية حلوة.. وكلمة لطيفة.. خروجة
لطيفة..

حاجات كلها جميلة.. جت معاه وبيكون دائماً حريص إنني أكون سعيدة..

لترد نسمة متصنعة الغضب: جو وحاجات لطيفة.. وإحنا فين كنا بقى.. ياما
قضينا سهرات في بيتنا أو بيتكم وماما وخالتو صابرين يعملوا ما لذ وطاب..
وأمل ووفاء ما يصدقوا يسيبوا أجوازهم وييجوا..

ابتسمت سلمى: فakraها فakraها الأيام دي.. وتقلب القعدة عن الجواز وسنينه
والعيال ومغلبينا.

نهلة تقول ثلاثة وفعلاً تعبت

ووفاء تقول بنتي واحدة بس بعشرة..

وتنتهي الجلسة بالحسد لينا إحنا البنات..

نسمة بشموخ مصطنع: طيب كويس إنك فاكرة.. وممكن أفكر كمان..

أيوة عمو أحمد أما كان يعرف إننا متجمعين وييجي يسلم ويجيب معاه نفحة
حلويات ومسليات..

سلمى: خلاص بطلني نفسنة وغيره.. يا ست الكل إنتو الجو الأسري كله ربنا
ما يحرمانا من جمعتنا دائماً

مر أسبوع تلو الآخر .. وسلمى تعيش فوق سحابتها الوردية.. بين دفء الأسرة والحب.. كل شيء بالكون كان يبدو كأجمل ما يكون.. تمتزج ألوان حياتها بروعة وجمال.. كل شيء حولها كانت ترى الجزء الأجمل فيه.. فقط الجزء الأجمل.. أحياناً في أوقات السعادة لا نرى ما حولنا إلا بعين سعادتنا..

لا نرى أي حزن أو ربما نتجاهله بالكلية في اللاشعور لأن عقلنا وقلبنا يود أن يحتفظ بتلك السعادة..

بين جلسة أسرتها السعيدة وأجواء الحب مع خطيبها..

جلسات السمر مع نسمة وخالة فاطمة ونهلة وصغارها بحضور أمها ووفاء وريماس

امتصت كل الدفء

حتى أنها صارت ترى في لوحاتها مؤخرًا اللون البرتقالي والأصفر مختلطين بروح الشمس المشرقة..

لم تستطع في غمرة سعادتها أن ترى نظرة ألم يحاول أبوها مداراتها بدكنة وسواد حزمه ويفشل بجدارة..

لم تلمح محاولات وفاء مواساته خلصة..

لم تلمح شيئاً ما في عيني أمها وهي ترمقه.. تشعر ألمه ولا تستطيع أن تشاركه.. شيء ما يؤلمها لأجله.. وشيء آخر كان يتمنى هذا الحب الذي حازته الأخرى.. هذا الحب الذي رآته في صورة ألم وقلق وضعف لمرضها..

لم تلمح تغيراً يطفو على سطح وجه نهلة.. شيء يشي بجرح روحها.. تداريه بابتسامة لا طعم ولا لون لها..

نسيت تمامًا ندى وياسين من بعد هذا اليوم الذي رأتهم فيه..
كانت قد أنهت آخر اختباراتنا بنجاح معتاد بفضل الله ثم اجتهادها وطبعًا
ساعدتها معنوياتها المرتفعة لتشعر كأنها نزهة وليست الاختبارات النهائية..
الآن تستطيع التركيز أكثر على مشترياتها كعروس مع أمها ووفاء..
وتستعد لحفل التخرج.. يوم حلمت به كثيرًا في مشوار اجتهادها المستمر..
تتخيل فرحة أمها وأبيها.. حضور أختها.. وطبعًا حضور تامر.. وربما يحضر
معه باقة أزهار كعادته أو يبهرها بمفاجأة.. وكالعادة ستتحول عيون الفتيات
لقلوب في حضوره.. ربما هذا ردًا لاعتبارها أمام كلماتهن الجارحة السابقة..
ابتسمت للفكرة وهي تصعد الدرج.. تصعد درجة مع كل فكرة جميلة..
لكن صوت صراخ عالٍ من الشقة المجاورة أغلق نافذة الأحلام.. انتفضت
للخلف بذعر..
كان صوته يهدر بغضب لا حدود له.. وهي فقط تصرخ أحيانًا وتتن أخرى
ويبدو أن يده تطالها بسوء.. تعالي صوت بكاء الصغير.. وقفت قرب الباب
عاجزة عن التفكير..
تحاول طرق الباب ثم تتراجع.. ربما عليها أن تدقه لتنبههم فقط ثم تهرب..
وبينما هي تقف حائرة..
ساد صمت قاس فجأة..
لم تعد تسمع أي صوت..
توترت أكثر..
هل أصابها سوء؟!!

بينما هي ترهف سمعها سمعت خطوات تقترب من الباب فأسرعت تختبئ
بفرع كيف تبرر لهم وقوفها هنا؟!!

فتح الباب وظهر على بابه مسعد وقد ملأ فراغه بجسده القوي وظهرت أشعة
الشمس من خلفه لتحيله لظلٍ أسود يليق به..
يليق به حقًا الظلام..

بغضبه الأسود وبطشه الغادر..

نزل السلم مسرعًا مضطربًا. وكأنما ما زال يصارع وحش غضبه..

انتبهت أنه من فرط غضبه لم ينتبه للباب..

دفعته برفق وهي ترتعش..

سكون مهيب..

بعض أشعة الشمس الباقية قبل المغيب تضيء مسحة حزن.. تليق بالمشهد..

كانت أمامها ندى جالسة على الأريكة..

تبدو كأنما غابت عنها إشراقها كما الشمس..

لم تلتفت لحضورها تحسبها مسعد عاد لغرض ما..

بدت كتمثال من الشمع..

منكسة رأسها مستندة على ركبتيها.. تضم نفسها بين ذراعيها.. وكأنها تحاول

جمع شتات روحها..

وقد جلس طفلها بجوارها.. يرمقها بقلق..

(ندى)

همست وهي تقترب بحذر منها..

كانت صامتة..

وكأنها لا تراها..

لامست ذراعها بشفقة..

(إنت كويسة؟)

لم تتكلم فقط اختنقت أنفاسها أكثر.. وراحت شهقاتها تتعالى ببياء مكتوم مقهور..

احتضنتها

(معلش.. اهدي)

تعثرت أنفاس ندى فجأة

تعالى شهيقها وزفيرها.. كمن لا يجد الهواء ويوشك على الاختناق..

راحت تسعل بقوة..

صرخ ياسين (ماما)

تركبتها سلمى فزعة لتحمل الصغير تهدئ روعه..

وعادت إليها بوجهها رفعت ذقتها وقد جلست على ركبتها أمامها والصغير بحضنها..

لم تقاومها

هالها احمرار وجنتها الذي يدل على وجع مهين..

(يا ربي)

ازدادت شهقاتها عنفاً..

(ندى اتنفسى ببطء.. أرجوك عشان ياسين)

بدأت أنفاسها تهدأ رويدا رويدا.. فاحتضنتها سلمى: أنت بخير حبيبتى

خرجت من جمودها لتجهش بالبكاء وسلمى تحاول تهدئتها تربت على ظهرها بحب..

دقائق قليلة هدأت بعدها.. تسلق ياسين ليجلس على ركبتيها مسنداً رأسه لحضنها..

بعد قليل كانت تائهة بين الواقع وأمواج عاتية من الذكريات دائماً كانت تتمنى وتتمنى.. وكل أمنياتها راحت.. رغم أنها كانت بسيطة..

تمنت فقط حياة هادئة..

كانت الكبيرة في إختها.. ولكن قلبها كان ضعيفاً.. دائما علاج ومحاذير حتى لا تمرض..

طرق بابها العرسان.. وكانت ترى نفسها بنتاً جميلة مثل أميرة يطلب الكل ودها لتفيق على صفعات الواقع..

كلهم كانوا يرفضون الارتباط بعد ما يعرفون أنها مريضة..

يريدون عروسة لعبة!

حلوة ورقيقة ومن غير عيوب.. وكأنهم هم ملائكة! تزوج إختها وبقيت هي تدعو الله أن يرزقها حياة خاصة بها..

تبتسم في وجه الجميع وقلبها يتقطع لحالها.. ترى الشفقة في عيون الكل..

و جاء مسعد وطلبها من أبيها

وطبعا وافق.. وكأنها كارثة أخيراً وجد لها حلا..

بضاعة بائرة

بعد أول مرة رأت فيها مسعد ترددت

قالت لأبيها لا أريده

كان يعمل في ورشة قريبة من بيتهم دائماً عصبي ويتشاجر مع من حوله ..

هي كانت تبحث فقط عن أمان!

رأى أبواها أنها تتدلل..

كانت على أعتاب العنوسة في رأيهم.. وإذا تزوجت مسعد أفضل من أنها لا

تتزوج أبداً..

ووافقت..

ولما بدأت تعرفه أكثر وأكثر رأت في طبعه رقة وطيبة يداريها بخشونه ظاهرة

..

عاش حياة فيها قسوة وهو صغير فبقيت الخشونة في طبعه من غير أن يقصد

أو حتى يحس..

راضت نفسها بما رآته منه من صفات جميلة..

شاب قوي وعصامي وحنون حين لا يكون غاضباً..

(لكني متوقعتش يتحول حالي لكدا!!)

صمتت وسالت دمعاتها مكملة بعد قليل

(اعتقدت أنه باهتمامي وحناني هيتغير)

اعتقدت أنه سينسى كل القسوة..
أعطته بلا حساب.. دائماً تحرص على رضاه.. في كل شيء..
تتخلى عن كل ما تحبه من أجل ما يحبه هو.. حتى أنها تغيرت من دون أن
تدري
صارت تمكث بالمنزل أياماً طويلة لأنه يكره خروجها وحدها..
طلباته كلها مجابة قبل حتى أن يطلب
أتحمل وأتعب حتى لا يشعر أنه محتاج لأي شيء وأخذها مريضة غير قادرة
على أعباء المنزل والمسؤولية..
وكأنه طفل يتدلل
بل أدمن الدلال وازدادت قائمة طلباته
والقيود أقوى وأقوى..
وهي تبحث عن أعذار حتى تسامحه من غير وعي
أصبحت لا تخرج إلا معه
ولا تتكلم في الهاتف حتى لا تشغل عنه وعن ياسين كما يقول دائماً
لكن حياتها لم تهدأ
دائماً وأبداً هناك عاصفة
دائماً أمواج غضبه عالية تنتثر كل ما بنته بصبر بينهما..
ودائماً هي منفذ تنفيس كل غضب أو ضيق
حتى لم تبق عندها قدرة على المقاومة

(بجد مش قادرة !!)

قطعت كلماتها فجأة وكأنها كانت تهذي ولم تفق إلا الآن..

كان وقع خطواته عائداً على السلم

نظرت لي بصدمة كأنها رأته الآن فقط ثم همست

(معلش اطلعي)

نهضت من مكاني بخفة..

أنتوي الهرب فأخر ما ينقصني هو مسعد هذا.

صعدت سلمى درجات السلم بخطوات هادئة.. ترى ما حالك الآن يا ندى..

كانت تشعر أنها عاجزة عن مساعدتها..

كيف للزواج أن يكون كقيد أو سجن؟!!

لماذا لا تعترض ندى؟!!

لماذا لا تقف وتقول له لا يصح.. هذا غير مقبول منك؟!!

ما الذي يكبلها حقاً؟!!

هل ممكن أن تمر بتجربة كتجربتها يوماً..

ارتعدت للخاطر البغيض.. لا تامر شخص متحضر

فتحت أمها الباب فهاها مظهرها لتقول بجزع: سلمى.. اتأخرت ليه؟ حصل

حاجة؟

لم تستطع سلمى السيطرة على مشاعرها المختلطة فانهارت باكية ليزداد قلق

صابرين..

دقائق وكانت قد حكت لها الأمر كله.. لتردد صابرين: لا حول ولا قوة إلا بالله
سلمى: المشكلة إنها مش عاوزة حد يروحها.. فمش قادرة أساعدها حتى..
لكني بحاول أشوف وقت يكون خارج أطمئن عليها

صابرين: عندك حق يا بنتي متسببهاش لوحدها الله أعلم فين أهلها وإيه
ظروفها.. وما دامت عرفتك فيمكن تقدري تساعديها.. وأنا حاضرة لأي
مشورة.. لكن مش هأتدخل عشان ما تحسش إن كل اللي حوالها شايف
وجعها اللي ربنا عالم أد ايه داريته..

وأكملت صابرين محاولة تلهية ابنتها قليلا عن صدمتها: أنا وفاطمة عاملين
محشي.. يعني مش أي غدا..

أكملت ضاحكة: إنت عارفة المحشي لموظفات زينا كنز كل فين وفين لما
يسمح الوقت بيه

اغتصبت سلمى ابتسامة لأجل أمها التي عادت من عملها هي وفاطمة للمطبخ
لتعدا لهم طعاما لذيذا.. اليوم يوم اجتماع أولاد خالة فاطمة عندها..

تنتظر خالة فاطمة هذا اليوم طوال الأسبوع لتتعم بتواجد ابنتيها وأحفادها
حولها معدة لهم ما لذ وطاب..

ربما تمر هي وأمها بهم مساء ليجالسوهم بعض الوقت.. لطالما كانوا كعائلة..

في المساء كانت الجلسة ولا أروع خالة صابرين مع خالة فاطمة مع كوب
الشاي بالنعناع.. وحوار الأخت للأخت.. لطالما كانت كل منهما سندا للأخرى
في زمن عز فيه السند.. خصوصاً وإحداهما ربت أولادها أرملة والأخرى
مطلقة ولو لم تكن كذلك على الورق لأجل خاطر بناتها ومستقبلهن..

لطالما استمعت كل منهما لآلام الأخرى بكل تفهم.. تنصحتها وتساندها بوعي
وفهم لما تمر به..

في الصباح تذهبان معا للوظيفة وفي الظهيرة ربما أعدت إحداهما الطعام
وارتاحت الأخرى..

ربما تجمعتا أو جمعت الصغيرات للعب..

ليصنعا معًا دفنًا ربما يشبه دفء العائلة لتكسرا صقيع وحدتهما ووحدة
بناتهما..

وفي غرفة البنات اقتربت نهلة من وفاء في حديث خاص.. يتخلله ضجيج
صار يلزمهن في السنوات الأخيرة مع وجود أطفالهن.. ماما حمام

ماما أكل

ماما ضربني

لتقاطعا الحديث بضحكة

أو تذر أحيانًا

وتحاولا تلبية الطلب أو حل المشكلة والعودة للحديث..

حديث تفهمه الأخت لأختها

تكمل كل منهما كلام الأخرى عن مشاعرها عن تفكيرها عن مشاكلها بسهولة
لأنها تعيش نفس المرحلة

زواج وأسرة وأطفال

لم تعودا عرائس مضى هذا الزمن

ولم تعودا وريديات

لونت الأحداث والنضج حياتهما.. تتفاجآن
أن الطفلة داخلهما نضجت..

لم تعد تهتم لأشياء كانت جل عالمها..
اختلفت رؤيتهما..

فربما ركضتا خلف أطفالهما بمرح..
أكلتا الشوكولا باستمتاع..

بحثتا عن براءة صارت مفقودة..

عن عالم كان بسيطاً صغيراً قليل التفاصيل
فوجدتا نفسيهما هما العالم الآن

عالم مغرق بالتفاصيل لصغار هم حياتهما ومعظم عالمهما

فلم تمانعا بشعور الأمومة الطاعي ببذل راحتها وبريق أحلامها لتساعدا
الصغار على رسم أحلامهم الخاصة

ليفهموا العالم من حولهم ليتعاملوا ويتعلموا

تثرثر نهلة: حقيقي ساعات بحس إني محتاجة فاصل وقت مستقطع من إجهاد
بدني ونفسي متواصل.. بعدي أيام ما أنامش..

بيقولوا دي أجمل أيام.. بكرة يكبروا ويشوف كل واحد حياته ونتمنى نرجع
ناخدمهم في حضننا بحركاتهم وشقاوتهم

ضحكت ثم أردفت بمكر: وليه متكونش أحلى أيام أما أشوفهم كبروا واتجوزوا
كمان..

أكملت تكتم ضحكة تتفلت بين شفيتها: وأنا وأبوهم شاب شعرنا وقاعدين ن فكر
بعض بالأدوية ونناول بعض العكاز.. نبتسم وتبان سنانا اللي وقعت..

نخرج مرة كل شهر عشان مش قادرين نخرج..

وبعد ٥ دقائق مشي نقرر أن بيتنا أحلى.. هدوء واستقرار..

والجيل اللي جاي صعب نعيش معاه في مكان واحد وإيقاع الناس والشارع
بقي غريب علينا..

ونقول عجزنا..

نشوف الأحفاد ونضحك

أقوله شبهي ويقول شبي أنا..

ليه بيفني الأب والأم حياتهم وأما ولادهم يتجوزوا يحسوا خلاص بقي لازم
يموتوا..

يا ترى هنعيش للعمر دا؟

رفعت عينيها لتقابلهما عينا وفاء المبللتان بالدموع..

وفاء: يمكن نعيش.. بس يا ترى هيكون فيه أخوات لريماس؟ ولا هتكون
لوحدها!

يا ترى هنعيش لها أنا وأبوها لامتي قبل ما تكون من غير سند؟

يا ترى أصلاً أبوها هيتحمل الوضع دا ويرضى ولا هيضعف ويستجيب لضغوط
الناس حوالية ويدور على عروسة تجيبه ولاد..

بجد أنا تعبت

كل الناس بتشوفنا تسألنا عن الحمل والظروف

مشكلتي ولا مشكلته

هنعمل إيه وعملنا إيه؟

شعور سخييف أن حاجة خاصة كدا وتلاقي غسيلك منشور قدام كل الخلق
..مفيش أي خصوصية..

فرصة نفكر بهدوء..

بحاول أصبر وأصبره

بس محدش سايبنا فرصة..

كأنا المفروض نفكر في الموضوع ٢٤ ساعة..

طيب والحل؟

كانت وفاء تحمل بداخلها ألمها وحدها.. ترفض أن تصدم أمها بحقيقة أنها
ليست سعيدة.. أن إحدى بناتها ليست سعيدة.. وهو أكثر هاجس يورقها.. ربما
لأنه الابتلاء الذي ذاقت أمها مرارته وودت لو تجنبها إياه ولو بعمرها..

نعم هي من اختارته.. نعم قالت أنه حب العمر وأصرت حين تقدم.. رآه أبوها
وسأل عنه ووافق لأجلها.. شيء ما كان يدعو للرفض دون سبب وجيه
يملكه ليقوله لها سوى مرآة خبرته بالحياة التي أحسه بها غير مناسب..

لكنها تنمرت لأول مرة تدافع عما ظنته حلما يأخذها فوق السحاب.. لم تخش
أن تواجه أباه وأمها بل حتى زوجة أبيها ذهبت إليها باكية ترجوها ألا يرفض
أبوها طلبها.. وأعلنتها صريحة (بابا كسر جزء من حياتنا عشان سعادته
وحبه فليه يحرمني من حبي وهو مستحملش خسارة حبه أيًا كان السبب)..

نظرة عين أبيها الذي دلف في هذا الوقت وكأنما قدره أن يسمع تلك الكلمات
التي جرحت قلبه..

نظرة زوجة أبيها المصدومة.. ابتسامتها المتخشبة بعدها.. كل ذلك لم يثبثها..
فكما يقولون مرآة الحب عمياء.. وهي ما كانت ترى بسواها..

فلمن تشكو الآن قلبًا بيديها كسرتة؟!!

"الزن عالودان أمر من السحر"

مقولة فهمتها جيدًا بالتجربة..

فحماتها لم تلبث تعلن عن خيبة بخت ابنها.. لم يحظ إلا بمولود واحد وكانت
فتاة أيضًا!

تشكو لابنها وابنتها وبعض الأقارب والجيران همسًا كون كنتها كالمكنة
المعطلة.. لم تعطه فرحة الولد..

وهي تنكر ما تسمع تتجاهله.. بل حتى تتظاهر أنها لا تسمع همسها المتكرر
له بالزواج من أخرى..

وهو حتى الآن و يا للعجب لم يتزوج.. نعم هي تحسد زوجها على صموده..

لماذا لم يتزوج هل هي بقايا حب علقت بالقلب..

بقايا حب لم تعد تراه في تفاصيل حياتها..

فلا كلمة حلوة من تلك التي كان يطرها بها في مرحلة الخطبة.. ولا لمحة
رومانسية كانت تحلم أن حياتها ستضج وتمتلئ بها..

فقط صارت حياة عملية مرسومة كما كل رسوماتها الهندسية..

تطوف لمحة عاطفة كل حين وآخر..

ليعودوا لوضع لا سلم.. لا حرب

كل منهما لديه عمله ومشاغله..

كانت تظن أنها ستضع رأسها على حجره كل يوم تحكي كل تفاصيل يومها..
تستمع منه لما مر به.. تعيش معه تفاصيل حياته ويعيشها معها..

لكن يوماً بعد يوم كان كلماته المقتضبة على ثرثرتها.. انزعاجه من كثرة حديثها.. تملله أحياناً.. كل هذا كان يعطيها إشارة تلو أخرى أنها بالطريق الخاطئ

صمته تجاه معظم التفاصيل التي مرت به والتبرير انشغال ونسيان..

حتى مزاحه سخريه لاذعة من أي تصرف تفعله.. ظاهره مزاح وباطنه معول هدم آخر لثقتها بنفسها..

كان كل ذلك حاجزاً يتشكل صخرة بعد صخرة بينهما تأبى روحها محاولة هدمه حماية لنفسها من الألم..

حاجز من الصمت.. تباعد طبيعي.. تلتقي حياتهما في بؤرة ويبتعد مسارهما في أحيان كثيرة أخرى..

لكن بقي يجمعهما شغف رؤية ريماس سعيدة أو تبتسم.. فهل هذا يكفي؟! هل هذا هو الحب؟

الفصل الرابع

نهاية وبداية

تمر الأيام يوماً وراء يوم .. يوم نذكره كذكرى سعيدة ويوم آخر كذكرى أليمة .. وأيام كسائر الأيام بلا ذكرى مميزة .. وهكذا حال الناس .. كانت سلمى على موعد مع يوم مميز يوم إعلان نتيجة آخر عام جامعي لها .. اللحظة التي تفصل بين قلق وتوتر وفرحة أو حزن ..

كانت سلمى ونسمة بين المئات من الزملاء يبحثون عن خاتمة الجهد والتعب المتواصل والركض بين قاعات الدروس .. تتمنيان فرحة خير مكافأة ..

بدأت سلمى واثقة مطمئنة بينما كانت نسمة متوترة .. تخاف أن تكون قصرت لكثرة مسؤولياتها .. تخشى أن تضطر لإعادة السنة أو بعض المواد وقد طمحت للخلاص من الدراسة لتتفرغ لطفلها وبيتها ..

لحظات وانتشرت صيحات الفرح .. صرخات الصدمة ..

بين حزن رسم خطوطه على الوجوه وبين فرحة تجلت بكل صورها ..

الحمد لله كانت نتائج المعظم تبعث على الفرحة ومعهم سلمى ونسمة .. وإن كانت نسمة تكالت بالتفوق أيضاً .

. كانت الابتسامة تزين وجه سلمى تلمع عيناها بفرح .. بينما نسمة بدأت في حالة جمود كأنها من فرط سعادتها لا تصدق أنها أخيراً تخرجت .

رن هاتفهما المحمول بنفس اللحظة ..

!سلمى: أيوة يا ماما أنا نجحت !! أيوة هدي على بابا أفرحه .

نسمة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أنا نجحت أخيرا يا حسن الحمد لله.. . الله يبارك فيك .. يحيى كويس؟! يلا أنا جاية حالا .

سلمى بحماس : يلا نحتفل بقى!!

نسمة بتردد: من غير ما تزعلي .. أنا لازم أروح حالا .. يحيى زمانه صحي .

هزت سلمى رأسها مستسلمة بابتسامة من توقع الإجابة ..

نعم صديقتها لديها حياة تشغلها .. وطفل وبيت تدور معهما وفي فلكهما..

أصدر هاتف سلمى رنينًا كان تامر يحدثها من أمريكا في زيارة قصيرة لأمه وأخته .. باركوا لها جميعا لينهي تامر المكالمة مؤكدًا على تجهيزه لهدية مميزة لتخرجها ومشاكسًا بعزمه تحديد موعد الزفاف مع والدها .. احمرت وجنتاها بخجل ممتزج بسعادتها ..

سارتا متجاورتان كما العادة تنقلهما السعادة آفاقًا بعيدة .. يزين عالم نسمة فرحتها بانتهاء الدراسة أخيرًا .. أخيرًا ستتفرغ لمملكتها وطفلها .. أخيرًا تلقي عن ظهرها حملًا طالما كان ثقيلا مع ازدحام مسؤولياتها .. بينما سلمى تنطق في سمائها صواريخ الاحتفال .. تحتاج من يشاركها فرحتها .. علمت من أمها أنها بالخارج عند خالة فاطمة تعنيان بأطفال نهلة لأنها مريضة قليلاً وتحتاج بعض الراحة ..

وصلت لبيت أبيها سعدت سلمة بعد سلمة .. طرقت الباب بطرقاتها المميزة ..

فتح الباب بعد برهه.. .

(بابا أنا نجحت)

قالتها بكل حماس وبهجة تملكتها في تلك اللحظة ..

انهالت عليها عبارات المباركة من أبيها ..

احتضنها بسعادة ..

رفعت وجهها إليه أخيرًا ..

لتصدمها أمواج حزن تدفقت بعينيه الحازمتين

فانعكس القلق على وجهها .. وغاضت فرحتها

سلمى بأسف: ألف سلامة على طنط منار

إن شاء الله تبقى كويسة .

أحمد وقد ظهرت ملامح الألم على وجهه : ادعيها ربنا يخفف عنها ويصبرها .
ويقدرني أكون معاها وقادر أساعدها في أصعب وآخر أيامها .

لأول مرة ترى غيوم الحزن الرمادية الكثيفة . ضعف وألم وخضوع لوجه
طالما كان رمز الصمود والحزم والحنان في آن واحد ..

أمسكت كفه بمؤازرة

سلمى: طيب أقدر أساعدها أزاي ..

طيب ممكن أشوفها؟

ليرد أحمد بخجل: شكرًا يا حبيبتي ادعيها بس .. هي مش محتاجة غير
الدعاء .. هي مش هتقدر تقابلك .. لو اتحسنت هكلمك تيجي تقابلها أنت
ووفاء لو تحبوا ..

هي بتحبكوا جدًا .. بس مش حابة حد يشوفها في الوقت دا

أومات برأسها بتفهم ..

ودعته ونزلت من عنده بوجه غير الوجه الذي صعدت به .. تسير بخطوات
حزينة مشتتة ..

رائحة جميلة تسللت لأنفها ... أخذت شهيقاً عميقاً تنهل من حلو رائحة
الزهور .. وقفت أمام الواجهة الزجاجية .. حسناً .. ستشتري زهوراً لمنار
تصل لها عليها تخفف عنها وستشتري زهوراً لأمها لتشكرها على دعمها لها
الذي كان سبباً بعد الله عز وجل في نجاحها .. بين باقات الزهور كانت تقف
بزي محتشم وحجاب طويل بلون أزرق يناسب ملابسها الأنيقة .. التفتت
فالتقت عيناها فكادت سلمى تصرف نظرها خجلاً من تلبسها بمراقبتها لكنها
بادلتها بسمة تلقائية تذكرت سلمى أن هذا الوجه رآته من قبل .. لقد كانت هذه
الفتاة معها بأحد سنوات الدراسة لكنها تصغرها بعام .. لم تجمع بينهما فرصة
من قبل بشكل شخصي .. أخذت الفتاة زهراتها وانصرفت .. تبعت سلمى أثرها
بعينها شيئاً ما في هذه الشابة لفت نظرها ..

(نعم يا آنسة)

توجهت للبائع وطلبت منه باقتين من الزهور المنسقة ..

كان طلبها جاهزاً خلال دقائق ..

عادت لبيت أبيها سلمته الأزهار أسعدها أن ظهر في عينيه بريق سعادة
لاهتمامها ..

وعادت للطريق تصحبها الباقة الأخرى تتمنى أن تهدي بها أمها شيء من
سعادة دائماً أهدتها لها ..

مرت في طريقها بمسجد قرب بيتهم .. كثيرًا ما ذهبت إليه مع أمها لأداء صلاة التراويح أو سماع حلقة ذكر .. ابتسمت بسعادة حين سمعت صوت الشيخ يتلو الآيات فقررت أن تؤدي الصلاة في المسجد ..

دخلت مصلى السيدات فوجدت عدد كبير من المصليات والأطفال أيضًا .. تعجبت سلمى للعدد فهي فليس معتادًا كل هذا العدد من النساء والأطفال ..

وقفت باتجاه القبلة رفعت يديها ترجو القبول .. انتهت الصلاة .. ولدهشتها وجدت الجميع يجلسون في دوائر صغيرة .. نعم كانت دوائر صغيرة تجمع شابة مع عدد من الأطفال ..

كانت آيات القرآن تنساب من بين شفتي الصغار بصوت عذب يأثر القلب .. ابتسمت ورق قلبها .. تلاقى عيناها مرة أخرى ..

كانت هي .. نفس الفتاة نعم فتاة الزهور!! وبجوارها كانت زهورها .. تهدي كل طفلة زهرة بعدما تتلو ما حفظت .. وحين انتهت كل الفتيات قامت واحدة بعد الأخرى تحتضنها في حب .. قبل أن تصحب كل واحدة منهن أمها وتنصرف شاكرة ..

اقتربت سلمى منها بتردد...

شيء ما جذبها إليها .. ببسمتها المشرقة وعينيها البشوشتين المطمئنتين..

والاسم كان حقًا مناسب حين سألتها لتجيب وقد مدت يديها مصافحة:

اسمي شروق .. وإنت ؟

اسمي سلمى .. متهيألي شفتك في الجامعة قبل كذا ..

بعد حوار قصير علمت منه كلتاها كلية الأخرى وباركت شروق لسلمى ..

شروق : مبروك التخرج .. وعقبالي ..

سلمى: الله يبارك فيك.

وأكملت بابتسامة مازحة: واضح إن لسه باقي أطفال يسمعو الورد لسه باقي

ضحكت شروق ضحكة خافتة وأكملت: الورد الباقي لحبايبي اللي هيسمعوا بس مش هنا.

سلمى: أخواتك الصغيرين ولا إيه؟

شروق: أخوات أي حد يسأل عليهم .. دول أولاد هنا في دار رعاية للأيتام والأطفال اللي استغنى عنهم أهلهم .. دار الياسمين ..

حديث قصير ووقت بسيط قضته سلمى مع شروق بين جنبات المسجد لكنه كان وقت خارج حدود الزمن .. لم يكن يليق بشروق غير الفضي بلون أشعة القمر .. لون ينشر النور بكل مكان ..

وبعد حديث بسيط بين الفتاتين كان واضحًا أنه ليس الأخير .. تذكرت كل منهما الأخرى و

تبادلت الصديقتان أرقام الهواتف على وعد بلقاء قريب ..

صعدت سلمى السلم بخطوات متمهلة تحمل باقة أمها بعناية .. دلفت للمنزل تبحث عن أمها مخبأة الباقة خلف ظهرها ..

سلمى : ماما؟!!

انبعث صوت أمها من المطبخ : تعالي يا سو الأكل ع النار !

دخلت إليها واحتضنتها وقدمت لها الباقة بحركة مسرحية .. لم تجد كلمات تسعفها لتشكر بها أمها .. غير قبلة على كفها الممدود تجاهها ..

لتضمها أمها مرة أخرى وتهمس إليها بفرحة غامرة : مبروك يا حبيبة ماما .. يارب دائماً أفرح بيكي ..

وصلت أنوفهما رائحة تنذر بوجود إنقاذ الطعام من احتراق وشيك.. لتصرخ أمها وهي تضربها على كتفها بخفة : تعبي وشقايا .. روعي غيري هدومك وخليني أكمل الأكل..

وضعت سلمي يدها مكان ضربة أمها ضاحكة.. ثم انصرفت لغرفتها.. .
طرقات قوية على الباب أفزعتها ..

لتنفض من مكانها بقوة تلحق بأمها التي جرت نحو الباب تهتف : سترك يارب ..

مين؟

فتحت أمها الباب ليطالعهما وجه ندى المكدوم مع بعض قطرات من الدماء سألت من شفتها .. مع كثير من علامات الهلع والألم على وجهها ..
ترتجف كطفلة صغيرة مرتاعة تنشد الأمان..

(ايه دا إيه اللي حصل !!)

كانت هذه كلمات صابرين وهي تضع كفها على صدرها بلوعة.. .

لكن ندى دلفت من بين دفتي الباب وأغلقت خلفها بعنف.. .

وانهارت في الأرض مستندة إليه ..

(أنا ضربته)

كانت ترددها مشدوهة وكأنها تسأل نفسها .. غافلة تمامًا عن صابرين وسلمى المتجمدتين أمام مظهرها الكارثي بغطاء رأس موضوع كيفما اتفق مع عباءة منزلية بسيطة وكدمات زرقاء ..

(ضربته)

كررتها ثانية من بين أنفاس متسارعة متقطعة

(مكنتش أقصد والله)

(غصب عني)

اقتربت صابرين منها برفق تحاول أن تفهم هذيانها.

لكن سلمى هتفت بتساؤل قلق : (ياسين فين ؟)

انتفضت المسكينة واقفة برعب ثم تأوهت بقوة ممسكة بذراعها.. ومستندة للحائط في ضعف كي لا تسقط ..

فتحت سلمى الباب وهولت على درجات السلم ..

لتجده جالسًا بين الطابقين بعينين حائرتين. .

فحملته برفق تخشى ألا يذكرها لكنه تشبث بها شاكرًا حضورها المنقذ ..

أكملت خطواتها للأعلى لتجد أمها تحتضن ندى وتحاول أن تهدىء من روعها..

بعد لحظات كانت سلمى تجلس وبين أحضانها نام ياسين وعلى الكرسي المقابل جلست ندى تشرب العصير الذي أحضرته صابرين..

صابرين : طيب يا بنتي بعد اللي قولتية دا أنا شايقة إنه مينفعش ترجعي بيتك دلوقت .. انتو الاتنين محتاجين تفكروا وتهدوا .. ومش طريقة أبدًا إنه يمد ايده عليك ولا إنك كمان تمدي إيدك عليه !!

ندى : لا .. لا أنا معملتش كدا ..

أقصد مكنش قصدي .. أنا بس حسيت إني هموت .. مكنتش حاسة بنفسي .. كنت عاوزة أفوقه ..

هو مش دايماً طبعًا بيتصرف كدا .. هو بس كان متترفز يعني جامد وكدا ..

صابرين : طيب هتروحي فين دلوقت؟

تحبي تتصلي بأهلك؟!

ندى بفرع : لا لا .. متكبريش الموضوع .. أنا هرتاح شوية وهنزل ..

صابرين بغضب: تنزلي!!

ثم اقتربت منها لتقول بغضب : دا اللي هو أزاى؟

ليه يعني؟!

حضرتك واضح إنه ضربك وآسفة لتدخلي.. وواضح من كلامك أنها مش أول مرة ..

لا ونسيت أقولك دراعك اللي كل ما تتحركي بتصرخي بسببه شكله مكسور ..

تنزلي فين؟!)

كانت تتطلع إليها وقد اقترب وجهيهما وجه صابرين أحمر قاني من الغضب .. ووجه ندى حائر ..

نعم

ماذا تفعل؟

أين تذهب؟!!

ترجمت شعورها بكلمات خافتة :

ما هو أنا معديش حل تاني حضرتك ..

أنا من أول ما اتجوزت ..

لا من قبل ما اتجوز

وأنا أسمع بابا وماما يقولوا لإخواتي معدناش بنات تتطلق

مفيش حاجة اسمها تغضبي وترجعي بيت أبوكي هتشمتي الناس فينا ..

ومع أول مشكلة احترت فيها وكلمت ماما قالت : استحملي كل الستات
بتستحمل

إنت بس داري على شمعتك وراضي جوزك ..

والله هو كويس أحسن من ناس كثير ..

هو بس مشكلته أما بيتترفز بيبقى صعب ..

أخفضت عينيها العسليتين بخجل : هو أصلا كتر خيره رضى بواحدة زي
يعني تعبانة ..

وقفت سلمى تحاول تهدئتهما بعدما وضعت ياسين على سريرها بالداخل ..

سلمى : طيب بس خلونا نفكر بالراح

قطع صوتها صوت دقات عنيفة على الباب ..

عرف ثلاثتهم دون أي مساعدة أنه مسعد ..

انكشيت ندى مكانها بينما سارت صابرين لتفتح الباب قبل أن يكسره هذا
المجنون ..

صابرين: فيه إيه حضرتك؟!!

دي طريقة تخبط بيها على باب الناس ..

مسعد بغضب: أنا عاوز مراتي وابني ..

صابرين: هم مين دول؟

مسعد الذي دخل بالفعل لينظر لندی الجلسة أمامه: يلا يا ندى ..

وقفت ندى لتهمس معدلة من حجابها محاولة جمع ما تفلت منه من خصلاتها

الذهبية: حاضر .. بس ياسين جوه وأنا ..

لتقاطعها صابرين: هي مش هتنزل معاك ..

هي محتاجة عناية طبية .. تقريبا قطر داسها منه لله اللي كان السبب ..

ليرد مسعد بصلافة: لو سمحتي ما تتدخليش ما بينا.

حاولت صابرين استجماع كل أنواع الصبر .. لترد عليه بثقة: بينكم دا لما

يبقى في بيتكم ..

لكن حضرتك إنت طلعت اللي بينكم بره ..

رد بانزعاج: لا حضرتك هي اللي غلطانة طالعة تشتكيك؟!!

يبقى هي اللي مش عارفة تصون أسرار بيتها ..

صابرين بصبر نافذ: أسرار بيتها إيه؟

الخريطة اللي أنت عملها على وشها ودراعها المكسور أسرار؟

مسعد : دا سوء تفاهم .. عن إذتك ..
ليهتف بعصبية : يلا بقى يا ندى ..
واتجه للباب بثقة متأكدًا منها أن تتبعه ..
ثم التفت بدهشة بعد عدة خطوات
ليجد سلمى تمنعها ماسكة يدها السليمة ..
وصابرين تقف بينه وبينها بحزم ..
الدهشة التي ارتسمت على وجهه كانت توضح كم الصدمة التي يشعر بها ..
نعم هو أخطأ ويعرف ذلك
وسيراضيها هو يعرف
وهي تعرف
وهي ملاكه الحارس ستري قبل حتى أن يعتذر ..
تعلم أنه لا يقصد إهانتها ..
لا يريد أن يوجعها ..
تعلم أنها لحظات غضبه فقط لحظات وجعه وتتحملها معه !!
منذ متى كان عليه أن يكرر كلمته ..
أن يعيد طلبه .
التفت بهدوء يسبق العاصفة ..
واجهته صابرين: هي مش هتروح معاك ..

سيبها أداويها

ليرد بطيبة لم تتوقعها صابرين منه : أنا هداويها ..

انمحت علامات الحزم عن وجهها وهي تلمح تعلقه بها كطفل صغير بلعبته:
مش هينفع .. لو سمحت خليها .. أنا وبنتي هنا لوحدنا متخافش عليها ..
على فكرة دراعها مكسور ..

انتفض متطلعًا لندی برعب : إنت بتقولي إيه !!

لترد صابرين : أنا بقولك وعارفة أنا بقول إيه .. أنا هاخذها أكشف عليها
وترتاح .. بعدها يبقى لينا كلام تاني .. إحنا أهل وهي هتقعد هنا مع أمها
وأختها ..

حاولت الطرق على حديد تأثره وصدمته وهو ساخن : بعد إذتك ..

انخفضت عيناه أرضًا بخجل .. وانصرف دون كلمة أخرى .. مغلقًا الباب خلفه
برفق ..

لتنفس النسوة الثلاث الصعداء ..

لقد انتهى الأمر ..

أم تراه قد بدأ!

مر يوم بعد آخر .. كانت ندى محرجة بعض الشيء من وجودها في بيت
صابرين وابنتها .. ومع مرور الأيام كانت ممتنة لهما ..

كانا هما عائلتها ودفنهما وبلسم جرحها في وقت كانت واثقة أن أهلها لن
يساندوها فيه .. كانت سعادتها لا توصف وهي ترى صابرين تدافع عنها
بحرقة قلب أم .. أحست أن لها سند حقًا ..

بينما بقت سلمى الأخت والرفيقة .. بدأت جروحها البسيطة تلتئم .. وبقيت
ذراعها معلقة بالجبيرة ..

كان ياسين نائمًا ليفيق على أصابع أمه تداعب شعره برفق ..
تثاءب بكسل .. نظر حوله لأول وهلة بدا كأنه نسي أين أنا؟!
لماذا أنا هنا!؟

سرعان ما ذهبت دهشته ولكن علت الخيبة ملامحه ..

الصغير افتقد المنزل ..

الصغير يفتقد والده ..

تهدت ندى .. وأنا أيضا افتقدته يا صغيري ..

نعم حتى في ألمي بسببه افتقدته .

هل هو حب أم تعود لا أدري!؟

ابتسمت عيناها العسليتان .. نعم تعودت أن أنسى قسوته .. أن أرضى ..

تهدت وقد بدا الحزن على وجهها .. هل هذا ما أوصلني إلى هنا!؟

جروح وكسر بذراعي !!

ألوذ بمنزل الجيران !!

يا إلهي !! لو علم أبي بأني تركت المنزل ستكون كارثة !!

ترى هل يخبره مسعد!؟

كلا مسعد طيب لن يطاوعه قلبه ليشي بي ..

(إلي واخذ عقلك يتهنى بيه)

التفتت ندى مذعورة .. لترى معالم السخرية على ملامح سلمى..

فاحمر وجهها بخجل لذيذ وقذفتها بالوسادة ..

جرت سلمى تتفادى ندى ووسادتها الطائرة ..

لينتهي الموقف بقبلة ترضية على وجنة ندى..

(تصدقي يا ندى أنا بأحس إنك أختي زي وفاء بالظبط .. وباحب ياسين أوي
عسل ..)

صمتت سلمى لتضيف بوجل

(بس بصراحة بخاف من مسعد !!)

بدى الاستياء على وجه ندى لتندفع قائلة : (على فكرة مفيش أطيب من قلبه
(

كان عدم التصديق واضح على ملامح سلمى فأكملت:

(هو بس عصبي)

(بس غير كدا حساس جدا وطيب ..

مسألتيش ليه هو عنيف أو عصبي !!؟؟

يمكن هو نفسه مش عارف !!

أو مش واخذ باله

مسعد مر بحاجات كتير وهو صغير..

مشاكل وعنف وضرب ..

وهو صغير رموه يتعلم حرفة

ولو مسمعش الكلام اكسر واحنا نجبس ..

فكرهم كدا بيربوا راجل .

وانه محتاج قوة وحزم

مينفعش حنان وطبطة ..

وللأسف اتعود ..

وطيبة قلبه ادارت تحت أظنان غضب من كل حاجة حوالية ..

اكتسب خشونة طبعهم..

قاللي مرة إنه زعلان من نفسه ..

إنه عارف إن دا غلط ..

وبيعتذرلي كثير ..

بس التغيير مش بالسهولة دي من وضع كان عليه سنين ..)

وأضافت بخجل : (على فكرة هو اتصدم أما خالتو صابرين قالتله إن دراعي

اتكسر .. أول مرة تبقى حاجة كدا .. طول النهار بيحاول يتصل لكن أنا مش

بأرد زي ما طنط صابرين قالت لي .. كتر خيرها وقفت جنبي وردتلي

كرامتي ..

كانت سلمى مصدومة للغاية من منطق ندى ..

وما ذنب ندى لتكفر سيئات وأخطاء أهله !!

بل وعيوب وأخطاء المجتمع وقسوته !؟

هل يستطيع التعامل بهذه القسوة في غضبه مع أي أحد آخر غير ندى!؟

بالطبع لا .. كان ليكون مصيره قسم الشرطة ..

أهو يتكئ على حباها الغير مشروط ونسيانها لحقوقها؟!!

هل هي كيس ملاكمة يفرغ فيه آلام الماضي وضغوط الحاضر؟!!

وهل هذه حياة سوية!!

لكم من الوقت تستطيع هي بهشاشتها الجسدية والنفسية تحمله؟!!

بل وتدافع وتحبه!!

مرآة الحب عمياء .. ومن الحب ما قتل!!

وللأسف المجتمع و الخوف المبالغ فيه من أهلها من الطلاق أو حتى مجرد طرح المشكلات أعطاه ضوء أخضر ليفعل ما يريد ..

وكأنها عبدة عنده

ومن أمن العقوبة أساء الأدب!!

ذهبية لكن لا أحد يسمح لها أن تشرق تعاني شمسها كسوف دائم .. نعم لقد تعودت ألا مساحة لها ..

لا طلبات

لا رغبات

لا وقت

هي لا تملك أي شيء خاص بندي .. فهي بطبعها بسيطة غير متطلبة تتكيف بشكل مذهل مع محيط ظروفها ..

ساعده ذلك ليتفرد هو بمطالب ..

ورغبات ..

ووقت ..

وربما حتى مشاعر..

هي تعطي بشكل لا محدود .. وهو فقط يستقبل ويضع المزيد في قائمة ما عليها فعله ..

فكيف تشرق شمسها وهي حبيسة خلف كل تلك الحواجز !!

وهل يأتي يوم لتبصر الحقيقة لتتسى سداجتها وتسعى لحياة آدمية حقيقية سواء معه أو بدونه؟! !!



الفصل الخامس

أبيض ناصع

مرت الأيام يوماً بعد يوم وندى قابعة بين جدران بيت صابرين المليء ببياض طيبة قلبها..

بيتاً ليس بيتها ولا بيت أهلها أو زوجها لكنها كانت تستشعر طمأنينة لم تشعر بها من قبل بين تربيته حنون على كتفها قبل النوم ..

تستشعر حباً و حرصاً على صحتها حين تمنعها صابرين من أعمال الطبخ والنظافة موبخة سلمى التي سمحت لها بهذا التقصير في صحتها ..
طفلها دائماً محل اهتمام ..

نعم لقد صارت تحب هذه العائلة حتى تجمع آخر الأسبوع أحبته سواء مع أسرته أو مع أسرة وبنات خالة فاطمة ..

لقد صارت تحب انتمائها إليهم ..

أخذت ترتب ما بعثره ياسين و ريماس

كان الأمس حافلاً !!

بين لعب ومرح وتشاكس الطفلان يشعان كل ألوان البهجة..

وخطيب سلمى التي عرفتها إليه على إنها قريبتهم وستمكت معهم بعض الوقت ..

أقلت سلاماً مقتضباً عليه يبدو سعيداً وكذلك تبدو سلمى تشع سعادة وحباً بعدها انصرفت لتعد الطعام مع وفاء ..

كانت تغبظها لقوة شخصيتها الظاهرة ..

كلون أحمر طاغ ..

يحمل ثقة بالنفس ..

يحمل تقدير للذات دون غرور ..

تمشي وتتحرك وكأن خطواتها مرسومة لا تردد أو تتلجلج مثلها ..

حتى لمعة عينيها مليئة بالإصرار ..

لا تنسى أبدًا رد فعلها حين حكّت لها حكايتها بالمطبخ همسًا ..

كانتا تعدان العشاء ..

وكانت وفاء بين حين وآخر يظهر عليها الغضب فكأن عينيها جمرتين ..

تفلت منها سبة ما .. ثم تعود لتكبح غضبها .. ونالت بآخر القصة وكزة

غاضبة تلعن ضعفها ..

ليتها مثلها !!

تستطيع أن تكون قوية .. تحتفظ بهالتها الذهبية تضيء حياتها وحياة زوجها

وابنها .. ولا تتخلى عن ضوئها ليفوز ظلام داخله فتضيع وتتخبط بمتاهة

مشكلاته ..

بعدها هدأت وفاء

لم تألوا جهدًا عن بذل النصائح والدعم لها ..

بل حتى طالبتها بالذهاب لطبيبة نفسية معها إن كانت تشعر أنها ليست بخير

وسيكون سرهما الخاص ..

ضحكت ندى مازحة : متقلقيش عليا دا لو دكتورتك دي تعبت تجيلي أساعدها ..

ضحكت كلاتهما كما لم تضحكا من قبل امتدت بينهما جذور محبة كأنهما أختين ..

تراقبهما صابرين سعيدة بسعادتهما واندماجهما تشعر أنها كسبت ابنة جديدة ..

كانت كل أحداث الأمس العزيز تدور بذاكرتها كذكرى جميلة تود لو لا تنتهي .. تتلمس بأطراف أناملها خيوط مفرش يدوي الصنع لفت نظرها وهي ترتب الطاولة ..

(وبعدين معاكي !!

كدا صابرين هتزعق لي أنا)

كانت تلك سلمى التي استيقظت للتو ترتب بيدها خصلات شعرها المبعثرة .. وتحاول نفض بقايا النوم عنها بتذمر ..

(ليه بس؟!)

أصلا أنا معملتش حاجة وفاء رتبت كل حاجة قبل ما تمشي دي حاجات بسيطة ..

وبعدين أنا أحب أحس إنني صاحبة مكان مش ضيفة)

قالت كلمتها الأخيرة بصوت ضعيف تسالت إليه خيوط شجن ..

لتجيبها سلمى بانزعاج مصطنع

(ضيفة مين !!

دا أنا اللي ضيفة
طول اليوم إنت ووفاء دو دو دو دو
مبطلتوش كلام ..)
كانت ضحكات ندى تجلجل من غيرتها المفتعلة
(وسامعة صوتكم وأنا بره .)
إنما إيه حكاية المفروش دا معاكي على طول أشوفك مسكاه !!)
(أصله حلو أوي ..
أصل أنا باحب الشغل اليدوي غير شغل المكن
بحسه مصنوع بحب
تعرفي يا سلمى طول عمري بجمع أي خرز أو خيوط ملونة ..
وكنت ساعات أحوش وأشتري
أعمل غويشة لصاحبتي أو عقد ..
أو أشغل بلوزة عندي ..
كنت ببقى مبسوفة أوي أما أعمل حاجة بنفسي ..
بس تصدقي كنت نسيت الموضوع في انشغالي ..
والمفروش دا بألوانه الزاهية هو اللي فكرني ..)
أمسكت سلمى كفها لتجلسا معًا على الأريكة مكلمة
(الله حلو أوي

خسارة الموهبة دي تضيع .. ايه رأيك نشترى سوا خرز وخيوط وأهو تتسلي
)

عادت ندى لجرح قلبها الذي تتناساه : (مش هقدر غير أما ايدي تخف)
لتكمل سلمى بحماس: (مش مشكلة ادخلي عالنت شوفي الأشكال الجديدة
وفيدويوهات عن طرق جديدة للشغل اليدوي وبصي إيه خامات تحتاجيها ولما
تخف ايديك تبدأي)

ترقرقت الدموع في عيني ندى العسليتين حقا لقد حباها الله أسرة حنونة
تعوضها وتهتم لها ..

كانت توميء شاكرة مبتسمة حين فتحت الباب صابرين : (إزيكم يا بنات)
ردتا بصوت واحد الحمد لله

وضعت ما تحمله من أكياس بجانب المطبخ وعادت لتجلس قبالتها .. تتخفف
من غطاء رأسها و ليتها تستطيع نزع قلقها :

أبوكي ما اتصلش يا سلمى ؟

لا يا ماما

هو اتصل كلم وفاء أول امبارح وقال مش هيقدر يبجي زي العادة وبس ..

شيء ما يطن بعقلها وقلبها أنه ليس بخير : غريبة دا تاني أسبوع يعتذر !!

خير اللهم اجعله خير أنا قلبي مش مطمئن ..

طيب حاولي تكلميه أو وفاء تكلمه ..

سلمى

تخفي ابتسامة ماكرة

حاضر يا ماما

رغم سنوات تباعدهما إلا أنها واثقة أن قلب أمها مازال يحتفظ بحبه لوالدها ..
قامت لتحضر الهاتف لتتصل مرة واثنان وعشرة ولا مجيب فعادت لأمها
بوجه قلق

مبيردش

وضعت صابرين غطاء رأسها مرة أخرى واتجهت للباب تدعوا الله ألا يكون
أصابه مكروه .

غاب عن تجمعهم وقالت ربما بسبب مرض زوجته ..

ولكن لما لا يجيب الهاتف !!؟

منذ فترة طويلة يبدو متغيرا وكلما سألته ما به لم يجب ..

هي لا تملك مساحة كافية للإحاح عليه كما هو الحال دائما ..

لكن اليوم هي لن تحتمل مزيداً من غيابه دون سبب .. كان القلق ينهشها وهي
تتحرك بين الناس تكاد تركض لا تحملها قدماها المرتعدتان ..

ترى أين أنت يا أحمد .. حشرت جسدها في المكان الضيق المتاح بالسيارة
بين سيدتين .. وبدأت السيارة تتحرك تهتز بالطريق الغير ممهد شاقة طريقها
للبلدة الصغيرة ..

ولكنها كانت تشق معها قلبها مفجرة أوجاع اندثرت منذ زمن أو هي كانت
أوهمت نفسها بذلك ..

نعم كانت شابة جميلة بهذه البلدة .. عروس جميلة من عائلة مناسبة خطبها
ابن العائلة البكري ..

وتعالق الزراغيد والأناشيد وضربات الدف تزفهما وترحب بانتقالهما لبیت العائلة حیث حظیت بكل احترام وحب..

مدت یدها تمسح دمة حارقة سالت تذکرها بهذا الیوم الذی سلب منها فیه حق الاختیار لتصبح زوجة الأخ الأصغر..

بلا فرحة ولا حب فقط لحفظ عرض الابن المتوفى ولتبقى ابنته بین أحضانهم ولا تتفتت ممتلكاتهم ویذهب جزء منه لها قد تبیعه! !

لمز وغمز أنها فال سيء وعساها لا تكون كذلك على زوجها الجدید ..

تتقبل حیاتها الجدیة .. تحاول إثبات إنها جدیة بالثقة .. أنها فال حسن .. أنها تلیق به .

ویوم أحست أنها کادت تتجح صدمها بأن حصون مقاومتها انهارت یرید الزواج من حبیبته !!

تجمدت تبحث عن بعض تعقل تجیبه به ..

احتضن ارتعاد جسدها .. یقسم کم یحبها ویصون عشرتها ویأن قلبه وهي بین ذراعیه تبحث عن کیان فقدته : أرجوک وافقی .. صدقینی مش هتخلى عنک .. مکانها فی قلبی غیر مکانک ..

ربتت على كتفه التي طالما أسندتها رحمت ضعفاً لم تره يوماً منه ووافقت .. لكنها یوم رأتها تتزین له ..

الكل فرح به كأنه یتزوج أول مرة !!

یقولون من ورائها وأمام وجهها قالها والده حقه حتى لا نظلّمه فلیتزوج .. وكأنه غیر متزوج! !

وكأنها لا تكفي؟

وكأنها سقط متاع !!

لم تتحمل ..

ثارت عليها نفسها ..

مرضت وعاد بعد الحفل يعتذر لها ويهددها ..

طلبت منه أن يدعها تخرج من هذا البيت ..

أن يهديها شقة هي وبناتها..

كفاها ألمًا وظلمًا وحلفت أنها أبدًا لن تدخل هذا البيت ..

خرجت منه تشيعها نظرات الغضب كأنها كسرت قانون العائلة ..

كيف تجلس بالمدينة ببناتها وحدها ..

لكنه أخرس الألسنة : أنا جوزها وهكون معاها ..

بهت الجميع ..

هو لن يطلقها؟؟

ترك بيت الأسرة واشترى بيتًا بالمدينة لخاطرها!!

بين النظرات المبهوتة وقبل زفافه بأيام قبض على كفها بكفه وخرجا معًا ..

توقفت السيارة .. سحبت نفسًا عميقًا وترجلت .. تتعثر خطواتها على الأرض

المعفرة نحو بيت قديم مهيب ..

توفي كل من عايشوها فيه ولكنها مازالت تتوجس منه ..

دفعت البوابة المفتوحة فأصدرت صريرًا مزعجًا ..

أسرعت الخطا نحو بوابة نحاسية كبيرة ..

دقت الجرس ولم يجيبها أحد ..

لتنبيه لحيطة ما أنهم كانوا يضعون المفتاح بالباب من الخارج ..

فتحت الباب تنادي بلوعة بالردهة المظلمة ..

: أحمد .. أحمد ..

بينما هي تركض وجدت باب غرفة مواربًا وقد انبعث بعض الضوء منه ..

دفعت الباب بعنف حتى اصطدم بالحائط مصدرًا صريرًا مزعجًا .. وقبالتها
كان هو .. كسحب قاتمة تنذر بعاصفة مريعة من الألم

أشعث الشعر .. غائر العينين .. شاخصًا إليها .. وأمامه عددًا من فناجين
القهوة وبعض حبوب مسكنة للصداع .. وكانت رأسها في حجره .. متشبث
بها بهلع ..

اقتربت متوجسة تخشى مواجهة الحقيقة في عينيه ..

مدت يدها تجس نبضها ..

أشاح وجهه بخجل يوارى حبه عنها كما اعتاد .. يتوخى الحذر أن يجرح قلبها

..

هناك نبض !!

: هي عايشة ..

أحمد : مش فاضل كتير تعيشه ..

تعجبت لمذاق الكلمات في حلقها : ليه بتقول كذا ..

وضعت يدها على كتفه تحارب يأسًا في عينيه : إن شاء الله تبقى كويسة ..
أجاب بإصرار : الدكتور قال مش قدامها كثير ..
ثم أكمل يقاوم دموعه : هي أصلًا كدا مش عايشة !!
كل ما تصحى أديها المسكنات عشان تنام .. مش قادر أتحمّل وجعها .. ومش
قادر أساعدها ..
كان جسده يتشنج بعنف بدا على حافة انهيار عصبي ..
يهذي ويهذي ..
أبعدت رأسها عن حجره برفق .. حملتها لسرير مجاور ..
وأخذته خارج الغرفة .. بدا مستسلمًا استسلامًا غريبًا
.. وفي غرفة أخرى جلس محدقًا بالفراغ ..
بعد قليل حضرت وفاء بعد اتصال أمها وأصرت عليه أن يذهب معها ..
أحمد : مش هينفع .. مش هقدر .. مين هيكون معاها ؟!
مش هسيبها لوحدها .. ملهاش غيري ..
صابرين : أنا ..
التفتت وفاء وزوجها وأحمد إليها
لتكمل : أنا هكون معاها .. روح معاهم .. ارتاح وتعالى بكرة ..
ثبت عينيه يناظر عمق عينيه ليتأكد بعدها أنها بين أيد أمينة .. على أي حال
يحتاج قليل من الراحة .. لا يستطيع أن يواصل أكثر ..

ابتسمت صابرين من بين دمعاتها مطمئنة فخرج مع وفاء وزوجها وتركها مع
أشباح الماضي ..



الفصل السادس

ماض قاتم

وقفت بوسط البهو بعد انصراف أحمد ووفاء وزوجها .. تأملت الجدران ..
اللوحات ..

الأثاث ..

نعم هو هو !!

هو ذات المكان الذي دخلته عروس خجلى .. أحببت كل من فيه وعاشت أجمل
الأيام ..

هو نفس البيت الذي خرجت منه مكسورة وأقسمت ألا تعود .. أن تبني حياة
أجمل بعيداً عنه ..

سحبت شهيقاً عليها تبعد شعور خانق يحيطها ..

نعم لقد بنتها الحمد لله ..

تذكرت تلك النائمة بالداخل تحت تأثير المسكنات القوية فمضت نحو غرفتها
لتطمئن عليها ..

فتحت الباب بحذر ودلفت للداخل بخفة رغم جسدها الممتلئ ..

ألقت عليها نظرة ..

إنها أول نظرة طويلة ..

تبدو جميلة رغم المرض ..

تتهدت رغم كل شيء هي لم تؤذها يوماً ..

لم تتخيل أن يجمعها بها مكان بعد كل هذا العمر ..

لا تجد في قلبها كرهها أو غيرة ..

هل هي شفقة ؟

ترى ماذا سيكون رد فعلها إذا استفاقت لتجدها والأهم لم تجد أحمد؟!!

بدأ القلق ينهشها هل ستتقبلها؟

هل ستعتقد أنها أتها شامته؟!!

بدأت جفونها تتحرك برقة .. ثم فتحت عينيها وضربات قلب صابرين كقرع الطبول حتى أنها شكت أنها أحدثت ضجيجاً أيقظها ..

كانت تحرك رأسها بوهن أوجع قلب صابرين تمد ذراعيها تلتمس السرير يميناً و يساراً ..

نغزة أصابت قلب صابرين هي تبحث عن أحمد موقنة بوجوده قربها ..

اقتربت أكثر لمحيط رؤيتها همست بحياء : أ أحمد جاي بعد شوية ..

رجفة سرت بالجسد الواهن لسماع صوتها ..

هل انزعجت لوجودها أم تراها تظن نفسها تحلم؟؟

كررت بصوت حاولت أن يكون مطمئن وهي تمسك كفها : أنا هنا معاك متخافيش ..

العجيب أن كفها تشبث بها بقوة ألتها وكادت تفرع ثم استسلم لأصابعها بوهن وسقط جفنيها بتناقل لتغيب عن عالمنا مرة أخرى ..

لم تستطع أن تمنع نفسها أن تمرر كفها على شعرها بحنو .. ابتسم ثغرها
بإرهاق .. تكاد تقسم أنها لو التقتها في ظروف أخرى ربما كانتا صديقتين ..

طرقات خافتة على الباب علمت منها أنه أحمد .. فتحت الباب برفق أشارت له
بالأ يصدر صوتا مقربة أصابعها من فمها بإشارة صامتة .. امتدت عينيه
تصافح وجه منار بلهفة ثم تحول نظره إليها ممتنا شاكرًا ..

كان يبدو بوجه غير الذي مضى به .. يبدو أنه اغتسل وبدل ثيابه .. ويبدو أن
وجودهم بجانبه أزاح عن كاهله عبء كبير من الألم ..

تلقائياً جلس بجوار سريرها وامتدت أصابعه تلمسك بكفها بحب ..

أخفضت عينيه ودارت على عقبيها لخارج الغرفة .. تلمس بعض سويغات
من الراحة .. على أريكة البهو استلقت بإرهاق .. رن الهاتف فأسرعت تجيب
: خير يا سلمى؟ أنتو كويسين؟

سلمى: أيوة يا حببتي بخير ..

ثم سألت بقلق : أنت كويسة؟

صابرين: متقلقيش عليا .. أخبار ندى إيه وياسين؟

سلمى بخفوت : بيسلموا عليكم بس كنت عاوزة أكلّمك في موضوع يعني ..

بدت مترددة : بخصوص مسعد ..

وقفت فزعة وعلا صوتها : ماله مسعد ؟ ! أتعرض لكم؟!!

سلمى : لا أبداً .. بس ندى فكت الجبس ويعني هو اتصل أكثر من مرة عشان
يشكرك .. وقال حابب ندى وياسين يرجعوا البيت عنده بس منتظر موافقتك

أخرجت زفيرًا : طيب .. بس صعب آجي ومش عارفة أعمل إيه ..

لو ندى حابة تروح أكلمه وتروح لو عاوزه .

سمعت ضحكات خافته فأكملت بحنو : طبعا بيتها أولى بيها ولو إن بيتنا هينقصه كتير من غيرها بس على خيرة الله .. يلا تصبحوا على خير وأنا هكلم مسعد الصبح بأمر الله ..

أغلقت الهاتف متممة: ربنا يطمني عليك يا ندى ..

فاجأها وقوفه قبالتها وعلى وجهه ابتسامه حانية .. قلب صابرين الأبيض وسع الكل وضاق به هو ..

أحمد برفق : تعالي أروحك

صابرين : لا أنا هقعد معاك ..

أحمد بجدية : مش هينفع الكلام دا .. وسلمى ؟

صابرين : فاطمة قالت هتاخدها عندها ..

أحمد : دا كلام مينفعش .. روعي عشان البنات .. كتر خيرك لحد كده ..

صابرين بإصرار : لما تبقى كويسة هروح ..

أحمد بألم : هي أيام ربنا يعينها على وجعها ويلطف بيها .. أنا مش مصدق .. أزاى؟! أزاى هتسيبنا؟!!

انهارت دموعه بإباء يليق به ..

على الجانب الآخر كانت ندى تجمع أشياءها وأشياء صغيرها .. كعروس تفارق بيت أمها تشعر بلوعة الفراق .. طرقات مسعد على الباب أجابتها سلمى لتعطيه ياسين النائم فيحمله بشوق .. يبدو وجهه مختلفاً حين ابتسم لياسين بحنو .. ربما ليس مخيفاً لتلك الدرجة !!

عن نظرتة ولمعة عينيه لمرأى ندى التي بدت مرتبكة بعض الشيء هو حقًا
يعشقها يمكنها أن تقسم على ذلك ..

نعم ..

هم رغم كل شيء أسرة واحدة .. امتدت يدا ياسين بعفوية تطوقان عنق والده
.. ومضى ينزل درجات السلم تتبعه ندى ..

ولكنها تركت ما في يدها وصعدت السلّمات القليلة مرة أخرى لتعانق سلمى
بقوة وتبلل كتفها بدموعها ..

ربتت سلمى على ظهرها بحب ..

ثم أبعدتها برفق قائلة : كنت هنسى ..

وأحضرت كيس هدايا متوسط يبدو أنها أعدته مسبقًا

سلمى : أنا أول مرة أشتري خامات تطريز ربنا يستر وتعجبك .. وفيه كام
تصميم كدا ممكن تنفذهم بالخامات دي ..

كانت ندى مبتسمة بانبهار فيما اعتبرته سلمى شكر..

وصلتهم نحنة خفيفة فابتسمتا ومضت ندى ملوحة بخفة مرسلّة لسلمى
بعض قبلات بالهواء ..

كانت سلمى قد أعدت حقيبتها سلفًا فأخذتها وذهبت لبيت فاطمة كما أمرتها
أمها ..

طرقت الباب ففتح ابن نهلة تذكرت للتو أن نهلة مريضة وموجودة هنا ..
مشت خطوات تبحث عن أهل البيت يقودها الصغير ممسك كفها بألفة ..

لتلتقيها نسمة كانت تبدو شاحبة للغاية .. دلفنا لغرفة الجلوس حيث كانت نهلة
وأما جالستين كان صوت نهلة مرتفعاً كأنها سئمت الخنوع حتى وجود سلمى
لم يمنعها من الاسترسال فهي ما عادت تقبل الصمت حلاً ..

شيئاً ما كان قابعا بين جفونها .. شيء من حزن أو ربما حسرة..

تربت بين حين وآخر على بطنها..

أطرقت بألم ثم سحبت نفساً عميقاً كأنها تستجدي الهواء بعضاً من القوة:

ما اتخيلتس أبداً !!..

أني في الوقت اللي مشغولة فيه بأولادي وحياتهم أستعين بربنا إنهم يكونوا
في أحسن حال

بين متابعة الأولى على أعتاب المراهقة..

أحميها بكل خبرة وكلمة وحب من حاجات متخيلش تضرها ببرائتها..

ألمح أسئلة بتدور في عقلها تشتت روحها..

فأديها الجواب..

أحارب مع الوسطاني عنده و خشونة في طبعة وقسوة..

كنت دائماً بسأل جابها منين ؟

وأشوف الصغير يزحف بيكتشف الدنيا من حواليه

طول النهار ألف أبعد عنه أي حاجة تئذيه..

وهو دائماً مشغول عننا بيجي بعد ما يناموا .. يلمح تعبني على وشي بيحكي

إرهاق طول اليوم..

وضعف جسمي من السهر معاهم ..
وأشوف كلام كثير في عنيه
ولو...

لكنه كان دايمًا مشغولاً عنا..
يجي مع نوم الأطفال..
يلمح إرهاق وشي..
وضعف جسمي..

وأشوف كلام كثير في عنيه

ولو جه بدري يبقى مش مستحمل صوت الولاد على أبسط شيء يزعق في
وشهم.. "توقفت تسحب أنفاسًا مرهقة لصدرها الممتلىء بالهموم..
لكنه كان بيدور على راحة.. وأكملت بصوت يقطر ألما ووجهها يدور على
صفحات وجوههن ببطء:

عن واحة جنته اللي ضاع هدوءها بين دوشة العيال..

عن حورية تزين بيته اللي مبقاش فيه غير شبح ست

اتفاجأت لما عرفت الخبر واتفاجيء معايا بطفل تاني بيكبر جويًا!!

مخطتش لوجوده ..

كان لازم أقف وأفكر

رغم كل تعبي وحزني وقهري

هل هقدر انسحب من حياة جوزي؟ أسيبه لحوريته الجديدة وابنها؟

هل العدل إني أحرم أولادي من أب موجود معاهم حتى لو مش كل الوقت وظل
راجل وياخده ابنها؟! لا ولادي أولى بأبوهم مش هحرمهم من لحظة واحدة
سعادة ممكن يديهالهم ..

عادت تربت على بطنها تمسك يد نسمة التي تجاورها تسأل كالتائهة: بس
أزاي؟!

كل مشاعري مجروحة وروحي فارقت جسمي !!

هو لقي بديل ولو قعد يحلف بحبي!!

بكت بانهيار تلتفت لسلمي : هيفضلوا مهما حصل ولاده لكن أنا!! اتبقى ليا
إيه؟؟ ..

شبه بيت؟!!

شبه أسرة

زوج شبه متواجد؟!!

وكثير من المسؤوليات لروحي المكسورة!!!..

وعمري؟"

صرخت بيأس

كانت سلمى عاجزة عن النطق قلقة أن يصيبها انهيار نفسي عاجزة تماما عن
إيجاد ما تبثها به الصبر..

تنقل عينيها بين نهلة وبين نسمة الممتقع وجهها بشدة تبدو كأنها ترى
كابوس ..

"وقلبي؟"

وحياتي؟

كل اللي ضحيت بيه عشانه وعشان ولادي وبيتي بنفس راضية..
حتى صحتي..

كل اللي تنازلت عنه من حقوق؟

مين يرجعلي ١٥ سنة من عمري؟"

طوقتها نسمة بذراعيها لا تدري بأي كلمات ممكن أن تواسيها كانت تنتفض
بين ذراعيها وكان خافقها ينتفض .. تتذكر كل كلمة وموقف جمعها وتفكر
أهكذا تجيء النهاية المفجعة فجأة !!

تنثر أسرة كنت أراها وأعيش معها منذ صغري شظايا صغيرة !!

كانت فعليًا ترتعد بين ذراعي تبحث عن أمان فقدته .. وكيف أمنحها إياه وهي
أختي الكبرى التي طالما كانت مصدر أمانى وقdotي بعد أمي .. بل إن أمانى
تبعثر مع دمعاتها المنهمرة !!

كانت هذه الكارثة التي حلت فجأة دون سابق إنذار ..

فنهلة صمتت حين علمت منه خبر خطبته .. صبرت و صمدت عزمتم ألا تبلغ
أهلها ولا أي أحد .. وطلبت من أم زوجها التي تقطن بالطابق الذي يليها ألا
تخبرهم أيضًا .. وللحق المرأة متعاطفة معها تحاول التخفيف عنها حين
علمت بالخبر .. صارت تأخذ الأطفال عنها لتمنحها بعض الوقت .. تحدثها
وتجلس معها كأنها أمها هي ..

ولكن تزامن اكتشاف حملها مع موعد دخلته المنتظر بعد أيام ليقتضوا على
البقية الباقية منها .. لتنتهار كل سدود دفاعها ..

زعمت مرضها وأنها ستجلس عند أمها بعض أيام ..

لكنها كانت تهرب ..

تهرب من واقع صادم ..

تهرب من محيط زوج لم تعد تتحمل رؤياه ..

توكل أطفالها لأمها متهربة من نظرات تتساءل ماذا يحدث في أعماق أحداقهم ..

ولم تملك الكتمان أكثر فانهارت ..

نظرة أمها الآن فاعرة فمها باندهاش توشك أن توقع صينية العصير من يديها تنبؤها أنها حقاً فجرت قنبلة الحقيقة ...

كسرت حاجز الصمت ولا مجال لعودة !!

مرت الأحداث بعدها سريعاً ..

بين بكاء أمها وأسئلتها الكثيرة لتفهم أبعاد الكارثة .. لتنتهي بحضور خالة صابرين تسمع ما جرى

ثم تسمع بكاءً على اللين المسكوب!

تحكي حكاية زهرة لافندر بنفسجية تحول لونها للون الألم دون سابق إنذار !!

نعم تمر الأيام تباعاً وكل يوم يحوي قصة .. يحكي لونا ..

مدت كفها للألوان ترسم إشراقة ذهبية بهية مع ألوان قوس قزح في السماء

..

وفي أسفلها كانت أزهاراً بنفسجية ذابلة ..

الفصل السابع

صدمة!!

كانت مشادة صباحية بينهما هامة حتى لا تستيقظ الراقدة على فراشها على حافة الموت..

مر يومان منذ قررت البقاء مع أحمد ومنار .. لما بقيت!؟

هي حقًا لا تعرف!!

ربما إشفاقًا على أحمد من أن يكون وحده وقد بدأ يفقد تماسكه من هول الموقف ..

ربما لأنه ليس هناك من يقف معهما غيرها هي وبناتها ..

ربما لأن منار تستحق بيئة محبة وعناية بآخر أيامها ..

ربما شفقة من قلبها الطيب ..

أو ضعفًا أمام انكسار أبي بناتها ..

ببياض ناصع يراه حتى الأعمى كانت تضحى كما هي العادة ..

بالمقابل كان إصراره وحزمه ومحاولات صارمة لتدعه وترحل ..

فهو رغم أنه حقًا كان على شفا انهيار نفسي وصحي حين أتت إليه لكنه

استعاد بأسه خلال ساعات ليعود بأسود تصميم وعزيمه براقه ليكمل دوره مع

حبيبة تستحق أن يهديها كل ما يستطيع في آخر أيامها ..

نعم هو غاضب ..

يرفض مثلث العذاب والألم خاصتهم .. مثلث رسم بالوجع نفوسهم مهما حاول أن يكون عادلاً.

رافضاً بقاء صابرين .. متعللاً أحياناً بسلمى وقلقه عليها وحدها دون أمها ...
قلقه على نفسية البنات وكم يود تجنيبهن أكبر قدر من الألم ..

على صابرين أن تعود لبيتها ويكفي ما تحملته في سنين عمرها .. هو وعدها
استقراراً يعوضها ويريد أن يفي بوعدده ..

ومع تزايد مكالمات سلمى وفاطمة رحلت صابرين داعية أن يعينه الله على
الأيام الباقية ..

في طريق خروجها من المنزل اكتشفت أنها فقدت كل تأثيرها بالمنزل وما دار
لها فيه في السابق فكل ما تذكره الآن أنه منزل أحمد ومنار التي تصارع آخر
أيامها فتدعو أن يرفع الله عنها ..

ربما نحتاج أحياناً أن نواجه الماضي بكل جروحه التي لم تبرا طوال السنين
لأننا تعمدنا تغطيتها وهي كانت تحتاج بعض هواء الواقع والمواجهة لتطيب
..

كان هواء الصباح منعشاً في طريق عودتها كانت تسرع الخطى لبيت فاطمة
موقنة أن هناك مشكلة ما سمعتها بأصواتهن المتغيرة عبر الهاتف وأيقنت
حاجتهن لحضورها فمن لهن غير قلب صابرين وعقلها الراجح ..

احتضنتها سلمى بشوق : ماما !! وحشتيني أوي دول ٣ سنين مش تلت أيام
..

ربتت بكفها على ظهر ابنتها ثم ابتعدت عنها برفق ترمق أعماق عينيها تلمح
آثار حزن وبكاء لم ترد إحراجها بالسؤال عنه الآن ..

دقائق انصرفت بعدها سلمى ونسمة مع طفل نسمة وأطفال نهلة لغرفة
المعيشة ليتركوا صابرين تطالع الحقيقة من فاطمة المذعورة ..

فاطمة : بنتي بتضيع مني يا صابرين !!

كانت بتقول تعب حمل وإرهاق !!

كنت بحاول أصدق وأنا شايفاها بتدبل ..

لحد ما اعترفت وقالت ..

طيب هو يتجوز وبنتي؟

أبوها الله يرحمه وأخوها مسافر..

وكلم جوزها.. قال دا حقه وهو مش هيطلق التانية .. وهي اللي مشت هو ما
قالهاش تمشي وهو مقدر أنها هتريح أعصابها وترجع

.. واللي إيده في المية مش زي اللي إيده في النار ..

زاد وغطى بقى أم فتحي جارتنا الله يسامحها في الجاية والرايحة تقولها دا
جوزك ومراته.. عملوا وخلوا ... أغمزها تتكتم .. تقولي بنورها بدل ما هي
غلبانة .. وهي بتولع في النار القايدة ..

تخلي غير وقت شغله ونقل شركة تانية عشان الهانم الجديدة بتخاف تقعد
لوحدها .. رايح جاي بابنها ف أيده طول النهار اصل الهانم محتاجة وقت
للراحة وما تقدرش على العناية بالواد لوحدها .. وعلى قلبه زي العسل ..
تكونش سحراله !!؟

وبنتي تتنقط وهي يا حبة عيني سنين مستحمة وقت شغله الطويل وتقول الله
يعينه .. العيال ليل ونهار في ديها وكل حاجة عليها ..

(ماما حد هنا؟!)

كان صوت نهلة منبعثًا من غرفتها بوهن ..

فاطمة : تعالي دي خالتك صابرين ..

مشت بخطوات متعثرة تثقلها الخيبة تعرف أن أمها قصت كل شيء لخالة صابرين التي تحوطها عينيها الآن بإشفاق وحنان ..

ربتت صابرين على المكان بجانبها تدعوها للجلوس ..

وبعد سماع كثير من نفثات ألمها التي يبدو أنها لا تنتهي فالجرح ينزف طوال الوقت ..

ذهبت فاطمة تعد الغداء وتركتها وهي واثقة أن صابرين خير من سيعاونهن للخروج من الأزمة ..

وبعد بعض الوقت رأت صابرين أن الحل بالكي .. عليها أن توقف النزف بأي ثمن .. نزف ألم بات يأكل قلب نهلة .. يطوف بعيون أطفالها الزائغة .. يكوي قلب فاطمة .. ويفلق نسمة وسلمى ..

أنبها ضميرها أنها لم تحضر وتركتهم في هذه النار وحدهم منذ ثلاثة أيام ..

وقررت بدأ العلاج :

كفاية بقي

إنت كنت فاكرة إيه؟

كنتي منتظرة إيه؟

كنتي منتظرة نيشان التضحية والصبر؟

جايزة الأم المثالية؟

يبوس ايدك كل يوم ويشكرك؟
إيه الفيلم القديم اللي أنت عيشاه دا؟
أنت مبصتيش حواليني للناس للمجتمع؟
حبيبتي كل الأمهات بتضحى
دا المعظم
لأن الأم عاطفية
والمجتمع فهمها كمان إن دا دورها وحياتها
وحملها كل حاجة في حياتها وحياة جوزها وولادها..
والراجل ميعبوش إلا جيبه
منتظرة الإنصاف من مين؟
من مجتمع نصه الست بتشتغل وتصرف وجوزها آخر اليوم يبجي يشخط
وينظر ويعدل وكدا يبقى راجل وهو أصلا طول النهار ع القهوة
لا شغل ولا شايف بيته ولا ولاده
دول تبعها
ولادها
مسؤوليته
والمجتمع في الآخر يقولها سايسيه
خدي بالك منه
استحملي

ظل راجل ولا ظل حيطه

اقتربت منها برفق تتطلع بعمق لعينيها المذعورتين

هقولك

عيشي عشانك

حبي نفسك

ومتقصر يش معاه

ولو ضحيتي في يوم انوي إنها لله مش لحد تاني ومتستنيش حد تاني يشكرك

كانت تنظر لها عاجزة ودمعة متجمدة على طرف عينيها

لتكمل صابرين بتؤده: مامتك قالت لي إنك رافضة الطلاق ..

أومأت لها بضعف تعلم أن مصدره أطفالها ..

لتكمل بحب :

يبقى كفاية كدا ارجعي بيتك ..

احتضنت طفلها الذي تشبث بحضنها وشردت ..

نعم هي من ضحت .. لم تطالب بحقوقها .. هي من تمادت بالمثالية الحمقاء ..

هي حملت الحمل كله فشعر هو بالفراغ وراح يبحث عن من تملأ شعوره

بالإنجاز و المسؤولية من تنظرله كبطل بديلا عن توكده له كل يوم أنها

تستطيع تحمل أكثر وأكثر بدون مساعدته ..

نعم لقد قررت ستعود لبيتها وسيعود أطفالها لمضاجعهم .. وستربي أطفالها

وتطالب بحقهم في أبيهم ..

التف الجميع بعدها حول مائدة الغداء وقد بدا أن الأمور صارت أوضح .. نعم وقعت المصيبة ولكن علينا الصبر وتقرير الحل .. والحل كانت نهلة قد قررتة تشجعها أمها التي تخشى طلاقها وكسرها .. وصاغت صابرين قواعده لتعيد لكل شيء من الاطمئنان وفي المساء وفي وقت اتصالها اليومي اتصلت حماة نهلة تسأل عنها وعن الأطفال ..

فأخبرتها أمها أن نهلة قررت العودة فزغردت تنبئها أن النور سيعود لبيت أظلم بدونها وأن لها أن تطلب ما تريد

. كانت تشعر بتجمد قدميها غير قادرة على الإتيان بخطوة أخرى للأمام..

هذا الطريق الذي مشته مع سلمى منذ أيام وكان عاديًا يملؤه المارة والسيارات .. يبدو الآن موحشًا .. تشعر أن خلف كل جدار يكمن خطرًا .. بجوار كل مار يبدو لصًا أو محتالًا.. ترتجف كورقة في مهب الريح .. لا تستطيع تقديم ولا تأخير قدميها .. متييسة هي تماما وكأنها حين سمح لها مسعد بالخروج تتعلم كيف تخالط المجتمع من جديد .. كادت تشعر باليأس وتعود من حيث أتت مع دقائق قلبها المتسارعة بقلق .. همست : الله يسامحك يا سلمى.. لقد مضت فجأة واختفت لثلاثة أيام وهي تحتاج لبعض الخامات وسمح لها مسعد بالخروج لجلبها ولا تريد أن تضيع الفرصة منها ولولا اختفاء سلمى لانتهى الأمر بسلام .. عدلت خصلاتها المتفلتة من حجابها بتوتر

..

سمعت خطوات تلاحقها منذ فترة تقترب منها بسرعة فزادت من سرعتها هاربة..

(بسسسس ياسين)

وقفت هل هذا صوت سلمى أم أنها من فرط خوفها تتخيل ..

(أيوة أنا)

قالتها سلمى وقد طالت ذراعها أخيراً مستغلة لحظات وقوفها .. فأمسكت بها برفق ..

ندى بغضب مكتوم : إنتو رحنوا فين كلكم ..

سلمى : آسفة والله ظروف كثير هشرحها لك ..

ثم عقت بمكر : إنما ما شاء الله خارجة ولوحدك !؟

لترد ندى بألم مازال يغزو قلبها هم تركوها ومضوا لحياتهم وهي التي حسبتهم أهلها: كنت محتاجة خامات عشان أكمل المفروش بتاع صاحبك ..

شعرت سلمى بوخز ضمير فهي اخترعت حكاية صديقتها لتساعدها وتشغل وقتها : طيب أنا جاية معاك على فكرة ماما جت ..

هتفت بفرحة مكسورة : بجد....

سلمى: أيوة وهتيجي تشرب شاي معاك لما نخلص مشوارك ..

بدأ وجه ندى ينير بسعادة وهي تحت خطواتها تستعجل العودة بعد شراء ما تحتاج .. تخطو بثقة وسلمى بجانبها ..

بعد حوالي نصف ساعة عادتا للبيت وذهبت كل منهما لشقتها ..

دقائق ودقت صابرين بابها فتحت الباب لتغوص بأحضانها .. وبعد سلام حار جلست صابرين : أنا جاية أشرب الشاي من ايدك ..

وأضافت باسمة: وبالنعناع ..

تذكرت ندى الأيام الخوالي وكم كانت صابرين تحب أن تشرب الشاي من يديها كل يوم تحركت للمطبخ بثقة بينما جلست صابرين ترمق الباب من حين لآخر وهي تداعب ياسين .. نعم هي تعرف أنه موعد عودته وتنتظره !!!

..

قرارها بالذهاب لمشغل التجميل أسعد أمها كثيرًا .. إذ أحست أنها أخيرًا بدأت تخرج من قوقعة الحزن .. أنها نسيت أو تناست ..

وأمام المرأة وتحت يدي عاملة المشغل كانت ترى امرأة أخرى .. إنها هي هي .. نفس الملامح .. لكن بريق العينين مختلف .. خريطة قلبها وعقلها أعيد تشكيلها بأقسى طريقة لتكون أقوى .. وأقدر على التحدي وقبول الصعاب .. تاه البنفسجي الرقيق للأنفندر وحضر آخر داكن ..

هل يظهر هذا التغير الداخلي للآخرين كما تراه هي بوضوح؟! لم يعد هذا يهم على أية حال !!

المهم أن تراه هي ..

طالما غيرت لون شعرها ..

طالما تفكرت أي لون سيعجبه أكثر !! كانت تتردد كثيرًا قبل الاختيار ..

اليوم هي على نفس الكرسي في مشغلها المفضل .. تتلمس صفحات ألبوم ألوان الشعر بلمسة مختلفة .. تبحث عن لون يعكس ويناسب روحها هي .. نعم لقد تغيرت من الداخل .. وليس تغيير المظهر إلا جزء ضئيل من تغير هائل عصف بروحها ..

اختارت اللون بثقة ودفعت إليها الألبوم مبتسمة ..

بدأت العاملة العمل باحتراف بين خصلات شعرها .. كان المكان مليء بالمرايا ..

يعكس صورتها في كل اتجاه ..

وكانت العاملة تثرثر بطيبة .. شيئاً عن حياتها و قليلاً عن الحياة العامة في البلد وصعوبتها وتعود لتلقي بعض أسئلة شخصية بفضول اعتادته ..

أخيراً أنهت كل ما طلبته منها ..

رمقت صورتها في المرآة برضا ..

سمعتها تثرثر أكثر حول كم هي جميلة وكم هو محظوظ بها زوجها .. وكم سيسعد بمظهرها الجديد .. شكرتها بإيجاز ووضعت حجابها وانصرفت ..

لديها الكثير لتفعله قبل موعد عودته ..

الكثير من الأشياء والترتيبات التي تخصها ..

يبدو أنه يوم طويل !!

وبعد ساعات

وقفت أمامه بشموخ ..

كانت حقا مختلفة ..

بخصلاتها الحمراء القصيرة ..

ووجه يبدو أنها اهتمت كثيرا ألا يكون شاحباً كالمرّة السابقة ..

كانت ترتدي بيجامة بيّية..

رغم كل وخز الدموع لعينيها رفضت أن تنهمر .
كانت تتشبث بقوة بجديّة وقسوة لا تمت لها بصلة
تتخيل أن تجدها له يوماً ..

كانت تبحث بداخلها عن نفسها بذعر فلا تجدها ..
هي تغيرت !!

لوثها أصفر غيرتها .. ولوثتها دماء روحها بعدما رماها بسهم خيانة لم تكن
تحسب لها حساباً..

لا ليست الخيانة زواجه .. لكن الخيانة يوم اعتبر عطاءها لا محدود ..
ولم يقدر هذا العطاء ..

لم يستوعب أنها حرفياً تهب له ولأولادهما جوهر روحها وعقلها وقلبها ليس
لشيء إلا حبها له ..

كانت تعتقد أنها وهبته أثمن ما يمكن أن يهدى ..
كانت تنتظر مستقبلاً مختلفاً ..

كانت تتمنى عليه رد الهدية بمثلها .. أن يهبها حياته مثل ما وهبته .. أن
تعيش معه أفضل سنوات النضج والكهولة لو طال العمر ..

لكنه كان في واد آخر .. يراها تفعل ما يحتمه عليها دورها كأم وكزوجة ..
ويبحث عن رفيقة أخرى لسنوات نضجه وكهولته ..

هل كانت حالمة؟!!

هل كانت غيبة؟!
لقد رسمت وتمنت وانتظرت منه أخلاق فرسان لم يعدها بها!!
ولم تطلبها هي!!!



الفصل الثامن

إشراقه

جلست صابرين بابتسامة سعيدة تراقب ندى ابنتها الثالثة كما صارت تشعر بها .. بعد لحظات جاءت ندى تحمل صينية وبعض أكواب الشاي ورائحة النعناع تعبق بالمكان ..

تتلو كل عبارات الترحيب بحبور ..

ندى بسعادة تضيء وجهها : والله البيت نور بوجودك يا ماما صابرين .. وحشتينا خالص .. حتى ياسين بيسأل عليك دائماً ..

ربت صابرين على الصغير الجالس في حجرها بحنان وهي تجيب برزانه: وإن تو وحشتوني أكثر وما منعي عنكم إلا الظروف ..

وأكملت بتحفظ وخرج بدا غريباً عليها : أكيد سلمى قالتك ..

لتقطع ندى شعورها بالخجل : أيوة ربنا يصلح حال الجميع ويعافي كل مريض ..

ثم أكملت بفخر : مقولتكيش بقى يا سلمى المفرش طلع تحفة .. أحلى من الصورة الأصلية .. إن شاء الله أشرفك ويعجب صاحبك ..

ردت سلمى بحماس: بجد !! تسلم ايدك يا ندى .. هي عروسة وأنا وعدتها إننا تنفذ لها التصميم ..ولو عجبها هتطلب منك حاجات تانية ..

شوفي بقى هكلمها ونقابها سوا تسلميها الشغل .. حتى عشان تشوفي رد فعلها بنفسك ورأيها إيه رأيك؟

قالت ندى : وماله أجي معاكى أعتقد مسعد مش هيمنع ..

كانت صابرين صامته تراقب كلمات ندى المشعة بنورها الذهبي فقط تتطلع هل هي سعيدة؟

لحظات وطرق الباب لتهرول ندى لتفتح سمعتها من خلف الباب تهمس بفخر : عندنا مفاجأة !! ماما صابرين جوا وسلمى كمان .

دلف بعدها مسعد معها مرحبًا : يا أهلاً يا أهلاً منورة يا خالة .. منورة يا آنسة سلمى ..

بادلته صابرين عباراته بدفاء: منور بأهله يا بني ..

انطلق ياسين متعلقًا برقبتة يطالبه بالحلوى ليحتضنه ضاحكًا ويذهبها معا لجلبها ..

لتعقب سلمى باندفاع: على فكرة يا ندى .. صاحبتي بتحفظ الأطفال قرآن .. إيه رأيك ياسين يروح يحفظ معاها في المسجد جنبنا حتى نهلة ناوية تودي أولادها ..

ندى : ياريت .. نكلمها أما نروح إن شاء الله .. تبقى فرصة يشوف أطفال ..

سرحت ندى تفكر نعم كانت تحتاج لصابرين وبناتها .. عزلتها كانت تثقلها بالهموم تنام وتصحو بها تكبر من كثرة انشغالها بها ..

بعد عودتها صار مسعد يهتم أكثر لخاطرها يعرف أن هناك من يهتمون بها و يسألون عنها وتهتمهم سعادتها ..

صاروا لها ظهرًا وسندًا حرمها منه أهلها بجهل .. هي لا تحمل لهم لوما رغم كل شيء ..

كانت سلمى ترمقها بحب وهي تتابع حديثها مع صابرين ..

نعم يا ندى أشرفت يا ذهبية تنيرين نفوس الجميع بالبهجة ..

أخفت بسمتها تفكر .. ومسعد يبدو مختلفًا أقسم أنه يعشقها نظرتة تفضحه .. ربما لكل قصة تفاصيلها الخاصة ..

ربما حان الوقت لرسم لوحة بأشعة ندى الذهبية وأسود مسعد البراق .. عزمت أن ترسمها هذا الأسبوع ..

وكزتها صابرين فانتفضت لتكتشف أنها شردت كثيرًا .. صافحت ندى وقبلت ياسين لتتوجه للمنزل مع صابرين التي تحتاج حقًا قسطًا من الراحة ..

في صباح اليوم التالي أصرت وفاء أن تذهب هي لأحمد تعتي بمنار بينما ينال هو قسطًا من الراحة ..

نعم بقوا كلهم بمثلث واحد تربطهم الأواصر والقربى يؤلمهم القرب ويضنيهم البعد ..

وخصوصًا مع وضع منار الحرج للغاية ومرض أحمد تأثرًا .. كان على صابرين وبناتها مساندته ونسيان جراحهم الخاصة حاليًا عن طيب خاطر ..

وفي بيت آخر بعيد .. كانت جالسة تشاهد التلفاز مع يحيى ..

هل تساءلنا يومًا ما لون نسمة؟!!!

بني

من الألوان القوية يجمع كثير من الألوان الأخرى بداخله ..

بين قوة جذوع الشجر وهشاشة حبات الشكولاته..

ثقة بالنفس إنجاز نجاح

وكانت غالبًا ما تعشق أن ترتديه

لون تناقض تماما مع شكلها بثوب بيتي قصير مع خصلات شعرها الفاتحة
المجعدة بشكل جميل والمتروكة دون أي قيود ..

تأكل حبات الفشار بنهم تشاكس صغيرها ويشاهدان أفلام كرتونية سويًا ..

لينام الصغير وتبقى هي متحمسة لنهاية الفيلم بشكل بريء للغاية شكل ربما لا
يصدق من يرى تحملها للمسؤولية في سن صغير وعنايتها ببيت وأسرة مع
متابعة دراستها ..

تشتكي أحيانًا بشكل تنفيس عن ضغوطها ليس أكثر لتنسى الأمر بنفس اللحظة
وتبدأ بإكمال ما كانت تفعله بثبات ..

فتح الباب بهدوء يرمقها والصغير النائم يقاوم ضحكة تكاد تفلت من بين
شفتيه وستنزعج وتغضب إن سخر منها ..

نعم جميلته الصغيرة متقلبة المزاج هذه الأيام وحساسة للغاية ..

شك أنها حامل لكن أثبتت التحاليل كونها ليست هرمونات حمل ..

وبدأ يراقبها يومًا بعد يوم مستدعيًا الصبر والتفهم .. وبعد عدة أيام أدرك أن
الأمر متصل بشكل أو آخر بظروف نهلة الحالية ..

قدر ألمها لأجل أختها الوحيدة .. وبعودة نهلة ظن أن الأمر انتهى ..

ولكنه أدرك أخيرًا الحقيقة صغيرة فقدت أمانها النفسي تأثرت بتجربة نهلة
تشخذ أسلحتها ضده وقد صار عدوها الذي يجب ألا تسقط في فخه كما سقطت
أختها !!

نعم يحتاج أن يعالج الأمر بمزيد من الصبر وإرسال رسائل الاطمئنان لقلبها
المكسور ..

يجمع أجزاءه المتناثرة بكل لون عليها تستعيد رونقها فهل تعود؟! ربت على
كتفها يناديها كانت نظرتها حين صحوها فزعة قلقة تخبره كم طريقه لأمانها
صعبًا !!

مرت وفاء ببيت أبيها .. بيتًا لم تتذكره إلا مليئًا بمرح منار وحبها وعطفها
وعنايتها بالجميع ..

ليضمهم الآن يتأوبون عليها على فراش الموت ..

ساكنة تحت تأثير مسكنات قوية حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا .. استلقت
على الأريكة تتابع موعد كل دواء لتحققه بالمغذي بحرص ثم تعود لجلستها ..
ومع تباشير الصباح فاجأتها حين فتحت عينيها كانت تبتسم رغم كل شيء ..

منار : تعبتك معايا يا فوفي .. سامحيني ..

اقتربت منها وفاء : لا تعب ولا حاجة .. ارتاحي ..

بدأت عيناها تدوران بالغرفة بقلق ..

لتجيب وفاء تسأولها الصامت : بابا على وصول ..

وكأنه سمع نداءها الصامت فحضر مهرولاً يحمل إبطًا ساخنًا ويبتسم بمرح
.. نعم إن كانت النهاية قادمة لا محالة دعونا نرسم السعادة على وجهها ما

بقيت .. بدا نوعًا من الكوميديا السوداء ابتسمت منار ووفاء لحضوره المبهج .. واستأذنت وفاء بالانصراف ..

تسرع الخطى لبيت أم زوجها .. استقبلتها ريماس بموجة من القبلات المشتاقة فأخرجت لها قطعة من الحلوى كمكافأة لتعقلها وأمها بالخارج وضعتها بلطف وسلمت على الجميع لتدخل المطبخ بعدما أصرت أن لن يقدم الطعام غيرها ..

وضعت القدر على النار تعيد تسخينه ..

وأحضرت بعض الخضر لتقطعها بطبق السلطة..

حضرت طبقًا من الفواكه لتخرجه على المنضدة ..

ترامى لسمعها كلمات متقطعة بصوت لم يكن هامسًا بما يكفي..

صوت زعمت أنها لا تسمعه كثيرًا ..

(يا حبيبتي يا بنت ابني وحدانية وغلبانة ..

لا مقلتش طلقها ..

لو دا نصيبها شوف نصيبك واتجوز اللي تخاوي عيالك ..

مشوار الدكاترة طول بخسارة جيبك وعمرك)

لم تكن المرة الأولى ولن تكون الأخيرة غالبًا..

جففت يديها و مسحت دمعة سالت على خدها أخذت شهيقًا عميقًا ..

فردت جسمها بقوة

وخرجت إليهم

مع أولى خطواتها للصالة أحس زوجها أن هناك شيئاً مختلفاً بها
هل سمعت شيئاً؟!!

دق قلبه بتوجس

لكن شرفيته انتصرت أمام قلبه الذي رق لألمها ..

فوجه لها نظرة زاجرة

لم تخف عن عين والدته التي التفتت لها..

نظرت لها نظرة تحدي أن تجرؤ ..

أن تجرؤ على المواجهة ..

أن تجرؤ أن ترفض ..

وكان حاضرًا معهم بالحجرة كل الأعراف والتقاليد التي تقول أن على المرأة
أن تصبر..

وتتحمل ..

تحملها ذنب لم تفعله ..

تلوح في الأفق مشكلات ستظهر على السطح ..

سيساند المجتمع فيها الزوج ويضغط أكثر على من لا حول لها ولا قوة ..

ليكون عليها هي الصبر .. التحمل .. المحافظة على بيتها وزوجها من مشكلات
لم تكون هي من صنعتها ..

وضعت صحن الفاكهة الصيني على المنضدة أمامهم بعنف ..

انتفض له كلاهما دهشة ..

وضعت السكين الذي حضرته بجانبه برفق خطير ..

(أعتقد ميصحش الكلام دا!!)

على الأقل مش وأنا موجودة ...

وفي المطبخ بحضر لكم الأكل ..

أنا كتير سمعت وعرفت وعديت بمزاجي ..

بس أنا مش هسمح حد يوجعني أكثر ..

دا قدر وأنا راضية بيه ..

ولو فيه حلول خارج الصندوق ..

زي إنه يتجوز مثلاً .. أعتقد تتطرح بشكل مناسب ومن غير تجريح ..

علمًا إن المشكلة ممكن متكونش من عندي أصلًا!!)

قبل أن ينبس أحدهم ببنت شفة أكملت : (أنا عاوزة أروح هتوصلني ولا أروح لوحدي!؟)

وجرت من أمامهما ترتدي ملابسها وتضع حجابها تقاوم طوفان من القهر والدموع ..

سارت بالشارع خطوات واسعة تبتعد عن كل تفاصيل الوجع ..

. نعم داخلها مجرد خواء ..

خلف مظهر القوية التي يعتمد عليها الجميع في لحظة ضعفه ضعيفة!!

سرق الألم قوتها .. ولكن هل يراها أحد؟!)

لا أحد يرى ندوب الألم على جسدها

لا أحد يرى نزيف روحها مع كلمات تنهشها

هل أحسنت يوم خبأت كل خيباتها وتحملت أنين روحها بين جنبها؟!!

هل لو كانت جروح الروح وخدوش الكرامة تظهر للناس لكانت أمها هبت
لتساعدها كما ساعدت ندى؟!؟

هل الصمت قوة أم ضعف؟!!

لم تعد تدري ..

.....

كانت نهلة تتلمس موضع خطواتها بحذر وصلت منزلها أخيراً بصحبة أولادها
وزوجها..

كانت أم زوجها قد أعدت المنزل ووضعت بعض البخور جميل الرائحة ..

كانت تسير وهي تكرر بداخلها ما قد قررته يجب ألا تنسى أو تغفل ..
ستعود ..

لكنها ستعود اليوم ليس كما كانت بل كما أصبحت وقد تغيرت روحها أكثر من
ما تغير خارجها نعم تغييرها الخارجي ليس سوى مواكبة للتغير الهائل
بداخلها تغيير لن يراه الجميع في التو ولكنهم سيرونه مع الأيام..

ستعود بشروطها .. شروط لن تطرحها عليه .. بل سترسمها بروحها
وعزيمتها بنفسها على سطور حياتها ..

عادت للمنزل وقد انتابها رهبة مع أول خطوة دارت ذكريات سنوات زواجها
بين

جنباته..

دقائق وانصرف زوجها حسب اتفاقها المسبق معه أن يدعها ترتب جنبات
روحها قبل أن يعود بمنزلها زوجًا وعليه أن يكتفي حاليًا بكونه ضيفًا في
المنزل متمتعًا بوقته مع أطفالهما ..

وضعت الطبق أمامها دون أي شهية للأكل ..

ظلت تناظره بشرود ..

عليها أن تأكل ..

منذ متى فقد الأكل طعمه بدونه؟!

مسحت دمه خائنة بخشونة رافضة لوجودها .. رافضة لها كدليل ضعف
أقسمت أن تتخلى عنه ..

هل تراه يأكل الآن؟

هائناً ضاحكاً ..

وكان ضحكته في خيالها جرحت روحها المتشبثة بكبرياء وقوة زائفين

فانهمرت بدل الدمعة دموع

دمعة قهر

دمعة ألم

دمعة حزن

دموع تذرفها عليها تتخلص من ألم عصر قلبها ..

باعث حتى نكهة طعامها ..

لا تذكر الآن وهي جالسة على كرسي سفرة الطعام سوى بسمته وهو يأكل ..

سوى ضحكته مع الصغار ..
غضبه وانزعاجه إن لم يعجبه شيء ..
طريقة تناوله لطعامه .. ما يحب وما يكره على السفرة ..
هزت رأسها بياس تحاول نفض أشباحه ..
تريد فقط أن تأكل !!
أهذا كثير؟!
حملت طبقها بياس ..
ذهبت لغرفة المعيشة طالما قالت أنه ممنوع الأكل على الأريكة
لكنها الآن تفعل !!
جالسة على الأريكة تحمل طبقها بين كفيها ..
طبق واحد جمعت به مكونات وجبتها ..
أشعلت التلفاز على برنامج حوارى جاد ..
انشغل عقلها تلقائياً بالحوار الدائر ..
تعبت أصابعها
بالمعلقة حاملة قليل من الطعام لفمها ..
كان لذيذاً حقاً
كما تفضله دائماً ..
طاف بذهنها سعادة أطفالها على المائدة اليوم بتناوله ..

نعم لقد كان يوماً شاقاً ..
ولكنه مر .
يومها الأول بدونه !!



الفصل التاسع

فضية كضوء القمر

كانت سلمى وندى تسيران بالطريق إلى بيت شروق كما اتفقت معها سلمى بالهاتف مخبرة إياها أنها أعدت لها مفاجأة ..

تحمل ندى بيدها كيس هدايا أنيق اشترته لتسلم شروق فيه أول إنتاج لها ..
تسير بفخر وثبات وفرحة ترقص بين جنبيها ..

تشتاق أن ترى رد فعل شروق على عملها واثقة أنها أنجزته أفضل من الأصل ..

كانت سلمى تختلس النظر إليها من حين لآخر تقتبس من سعادتها حامدة لله أن استطاعت مساعدتها لتجد نفسها وسعادتها ..

تمسك بكف ياسين الصغير وكفه الآخر يرقد بكف أمه ترمقه بقلق الصغير متأخر جدًا بالنطق ..

لم تشأ أن تخبر ندى لكيلا تثير مخاوفها لكنها ستساعده بدمجه مع أطفال والمتابعة لتطوره بالنسبة لمن هم في عمره مع شروق فهي خبيرة بهذه الأشياء ..

نعم لقد صارت تهتم لأمره كما تهتم لريماس ابنة وفاء ..

وصلتا للمنزل طرقت سلمى الباب ففتحت والدة شروق مرحبة بسلمى فعرفتھا بندى التي أطرقت بخجل كعادتها ..

بعد دقائق قليلة انضمت لهن شروق ..

كانت اسمًا على مسمى يليق بها البهاء والجمال برقها وأدبها الجم ..
ظلت ترحب بندى وتحاول كسر خجلها وتداعب الصغير وتقطع له من طبق
الفاكهة الذي أحضرته أمها حتى ابتسم لها وجلس بجانبها سعيدًا ..
لتقف سلمى بطريقة استعراضية : دلوقت بقى وقت المفاجأة..

ابتسم الجميع يرمقونها بعيون لامعة ...

فأشارت لندى التي مررت الهدية لشروق بسعادة غامرة ..
فتحت شروق الهدية واستخرجت المفروش تفيض عيناها سعادة وتلمس نقوش
المفروش بحبور

تترقبها عيني ندى بتوق ..

شروق بانبهار : رائع

سلمى بثقة : الحمد لله أجمل من الصورة

وأشارت لندى مفصحة عن الحقيقة : ندى نفذته ومش بس كدا دورت على
النت وطورت الإطار والتفاصيل ..

التفتت شروق بفرحة : حقيقي فرحتوني

جميل جدًا أنا بعشق الهاند ميد بجد

تنهدت لتكمل : بحسه له روح وحس كدا وخصوصية لكل قطعة ..

حقيقي تحفة تسلم ايدك يا ندى ..

شكرتها ندى بهزة رأس وقد احمرت وجنتاها وخافقها ينبض بسعادة

فأكملت شروق بفرحة : حقيقي أنا سعيدة بمعرفتك يا سلمى تعبتي نفسك
وصاحبتك عشان تفاجأوني ..

احتضنتها سلمى بحب : أنت أختي وحببتي مش أنت قلتي أنت معنديكش
أخوات بنات وإني أختك؟!!

ومدت ذراعها تضم ندى أيضاً : والبت دي كمان أختنا يا رب ما يفرقتنا أبداً ..

ندى : آمين يا رب

التفتت شروق قائلة : طيب بما إننا إخوان بقى لازم تشاركوني الأسبوع الجاي
و تاخذوا ثواب معايا ..

بما إن فرحي قريب يعني عاوزة أعمل حفلة كدا وتجديد لناس عزيزة عليا
ويمكن وقتي ما يسمحش أزورهم كثير بعد كدا زي دلوقت ..

ثم أكملت بتأكيد : بس طبعا عمري ما هسيبهم إن شاء الله ..

ولو تعرفوا حد تاني يقدر يتبرع بوقته أو حاجة ليهم يا ريت ..

سلمى : مين دول مش فاهمة؟!!

شروق وقد بدأت سلمى ترى بعين خيالها روحها المشعة بالخير بأشعتها
الفضية كقمر منير :

بيت الحاجة خيرية

دا دار مسنين .. بس بشكل غير تقليدي ..

مش هتفهموني إلا أما تشوفوه ..

طبعا هنحتاج نروح مع بعض نتعرف عالمكان بعدين نتفق ع الحفلة .. تمام؟!!

أجابت ندى : جميل فعل الخير أنا معاكم إن شاء الله .. بس ياسين؟!!

لتجيب شروق بتفهم : لازم يكون معانا هم محتاجين أولاد وأحفاد يزوروهم و
بيفرحوا أوي بالأطفال ..

سلمى : خلاص اتفقنا اتفقوا بقى سوا على مواعيد ياسين لحفظ القرآن في
المسجد ..

مضت ندى وشروق تتحاوران .. كل منهما تأخذ رقم الأخرى للتواصل وقد
ساعدت تلقائية وتواضع شروق ندى على تجاوز خجلها فبدأتا صديقتين
وكأنهما تعرفان بعضهما منذ زمن ..

وسلمى كالعادة شردت ترسم لهما لوحة بخيالها بين قمر ينشر أشعته الفضية
فتضيء نفس كل مهوم بالأمل وشمس تودع كسوفها لتشرق أكثر وأكثر ..
ابتسمت بجزل سترسمها بإذن الله خلال أيام ..

لحظات ووقفت ندى تمسك بيد الصغير مودعة شروق شاكرة اهتمامها بياسين
وشروق ترد باتزان شاكرة ذوقها الرائع بالمفرش .. نعم هنا تبنى صداقة
جديدة وحب في الله ..

.....

كانت صابرين جالسة بغرفة المعيشة بجسدها لكن عقلها كان مع أحمد وهمه
الثقيل ..

بين اهتمامها بالجميع لم تنس بعد عودتها من العمل الاتصال به ..

أجاب أحمد الهاتف بمجرد رنينه كمن يمسك طوق نجاة : السلام عليكم ورحمة
الله

صابرين بلهفة لم تستطع ولم تهتم بإخفائها: وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته

أخباركم إليه انهارده ؟ !

رد أحمد بخفوت : مبقاش فيه أخبار ..

دخلت غيبوبة من امبارح ..

ومؤشراتها الحيوية مش مستقرة ..

زفرة حارة أتبعها بكلامه أحست بها حارقة جاوبتها دموعها بسخاء ..

صابرين : أنت فين دلوقت ؟ !

أحمد : في المستشفى معظم الوقت ممنوع أدخل لها في العناية ..

أكمل : هسيبها وأروح فين ..

كان صوته يقطر قهراً ..

انقبض قلبها ..

خافت عليه أن ينهار حال وفاتها المتوقعة بأي لحظة ..

أغلقت الهاتف وارتدت ملابسها .. أرسلت رسالة لسلمي كيلا تقلق إن عادت

فلم تجدها وانطلقت إليه ..

نعم لطالما كتفت قلبها رفضت أن تمر ألوان الحب على قلبها كيلا تجرح مرة

أخرى ..

هي اليوم تعترف نعم هي تحبه ..

قلبها يتمزق خوفاً عليه ..

تخاف أن تفقده ..

ولا تريد أن تكيل خافقها أكثر ..

هو زوجها ولو مع وقف التنفيذ منذ وقت طويل ..

أغلقت باب سيارة الأجرة ونقدت السائق المال لتتجه للاستقبال بلهفة تسأل عن غرفة منار .. أجابتها ذات الزي الرسمي .. لتتابع خطواتها راكضة ..

نظرت له بارتياح كان جالساً كأنه أيقونة الخوف والحزن مجتمعان .. يقف يرمق جسدها من خلف الزجاج والأطباء يتخبطون في محاولات خاسرة لمساعدتها ، ثم يجلس مغمضاً عينيه وكأنه يهرب من كابوس فقدها.. ليعود واقفاً يتلصص ليحظى بنظرة أو نظرات أخيرة لروح تبدو راحلة ..

وقفت بجانبه وقد فقدت كل الحروف معانيها فماذا تقول لمن تعلم أنه ينظر لروحه تنزع من جسده ..

أمسكت كفها بقوة تشد عليه ..

ضرب بقبضته الحائط: أنا لازم أدخل .. هو قاللي هيسمح لي أدخل ..

خرجت ممرضة تركض تخبره سماح الطبيب له بالدخول .. علمت صابرين من وجهها أنها تدعوه لوداعها ..

دلفت معه للغرفة ..

انسل الأطباء للخارج فما عاد يجدي الطبيب !!

جثا على ركبتيه يتشبث بها .. تنهمر دموعه على خديه .. يرجوها أن تجيبه لكن لا مجيب سوى صفير مزعج من الأجهزة حولها ينادي بصوت معلوم أنها النهاية ..

اقتربت الممرضات يبعدونه برفق وصابرين تلف ذراعيها حوله تتشبث بما بقي من إيمانه وصبره راجية الله أن لا يفجعها فيه ..

تراه يموت وهي التي ضحت بعمرها وأقفلت قلبها ليعيش هو فماذا بمقدورها
أن تفعل أكثر؟!

صوت القرآن بساحة المنزل وسيدات متشحات بالسواد .. رجال يشدون على
كفه .. ساعات مرت على الجميع كأثقل ما تكون الساعات وصابرين تبث ثباتاً
بقلب ابنتيها الواجف وروح زوجها الكسيرة تعاونها ندى وفاطمة ونسمة ..
تدور فناجين القهوة ..

لم القهوة؟! ..

ربما لأنها داكنة تليق بظلمة الحزن ..

أو لأنها دافئة تسرب بعض الحرارة لروح غزتها ريح الألم تصفر بين جنباتها
..

ولكنه أجل ولكل أجل كتاب ..

.....

كانت وفاء منذ يوم شجارها الأخير مع حماتها هادئة قليلة الكلام على غير
عادتها .. عادت للمنزل ولم تناقش الأمر أو تعيد فتحه وسط تعجب زوجها ..
تقوم بمسؤولياتها بصمت مريب ..

و كأن الكلام صار قبلة موقوتة تكرهها وهي التي كانت ثرثرة ..

بل صارت تغص بالكلمات فتختنق بها رافضة أن تلفظها ..

نعم كل كلمة منها دائماً كان رصيدها منه السخرية ..

كل إنجاز منها رده) اخترعتي الذرة) ..

كل هذا كانت تتجاوزه وتتناساه ولو جرحها وتعود لثريتها المعتادة والودودة
بتلقائية ..

ولكن هذه المرة مختلفة ساعدتها لتعتاد عادات جديدة..

وها هي يوماً بعد يوم تعتاد..

تعتاد التعايش مع كل فوضى الكلمات داخلها ..

تتابع الصمت بشغف محب ..

فلا أكمل ولا أجمل منه ..

ولا أصون لروحها منه..

فهل يكون الصمت كافياً لتخطي العقبات بطريق حبها!؟



الفصل العاشر

أسود الحداد

كعادتها صابرين تتابع الجميع تطمئن على تلك وتساعد هذه بقلبها الذي يسع الجميع ..

تنقل معها حيثما بقت وحلت نقاء قلبها ..

مر اليوم بعد اليوم والبيت في حالة حداد ..

حزناً لفقد منار ..

انتهت أيام العزاء ولكن ظل بعض الناس يتوافدون من حين لآخر ..

يجالسون أحمد يعزونه ببعض الكلمات ..

يذكرون ما يعلموه من محاسن الفقيدة موقف أو اثنين ..

ليبتسم أحمد لذكر الحبيبة يستمع ويضيف بعض كلمات ..

للذكرى لون مختلف ..

يكون لحكيها ظلال من البهجة والإشراق وقليل من ظلام الحزن ..

ليختم الكلام مؤذناً بانقشاع الابتسامة لتظهر مسحة حزن على ساحة الوجه

يعقبها قوله : رحمها الله ..

تراقب صابرين كل ذلك بصمت .. تعني باحتياجات بيتها .. تذهب لعملها ..

تتناوب السؤال عن البنات ..

سلمى يسعدها اهتمامها بمن حولها وكأنها تشربت من طبع أمها تشغل وقتها بعد انتهاء دراستها بمساعدة أمها وتونسها ندى وشروق بشغل وقتها بالخير..

استأذنتها بحماس لزيارة دار مسنين مع شروق وأنهن ستعددن للمسنات مفاجأة ..

بدت بخير حال وقد بدأ قلبها يطمئن عليها تمنى نفسها برؤية فرحتها يوم زواجها المرتقب ..

وفاء ..

ينشغل قلبها بها كثيراً تدور من طبيب لآخر بلا جدوى تذكر ..

تلك الصغيرة تنزف ألماً بصمت ..

تهتدت ثم مدت يدها تصب الماء في القدر لإعداد الغداء عليها أن تنتهي سريعاً فالיום الجمعة وستحضر البنات قريباً ..

وقف على باب المطبخ ويبدو أنه كان يقف منذ وقت طويل .. يرمق انشغال فكرها وعقلها السارح ..

نقية كما هي لم تتغير رغم كل شيء .. ارتسمت على وجهه آيات امتنانه لمن كانت طوق نجاته من محنته بعد الله عز وجل ..

سلمى التي عادت للتو من عند ندى لتفاجأهم : صباح الخير يا أهل الدار ..

انتفض كل منهما من أفكاره تزين الابتسامة والبشر وجهيهما ولكن سلمى كانت ابتسامتها أوسع..

بلون الفرحة ..

أخيراً يجمعها بأبويها منزل واحد ..

سفرة طعام واحدة ..

والكثير الكثير ..

ما إن بدأت تنقش سحابات الحزن ولو قليلاً حتى بدأت ترى نور السعادة بوضوح ..

قد يكون البيت والعائلة من أكبر النعم التي ينسى الكثيرون شكرها ..

ولكنها من عاشت دون عائلة حقيقية مجتمعة طول عمرها لا تقدر نعمة العائلة بثمن !!

كأغلى وأثمن لوحة بدت لوحة العائلة ..

لعلها رحمة الله التي يسرت لها أن ترى جمع شمل الأسرة ولو على كبر ..

ربما تشفى جروح طفلة داخلها تشكو التشتت لسنوات ..

.....

وفي بيت آخر كانت سحب داكنة تنذر بالعواصف التي تهدد عائلة أخرى ..

وقفت وفاء تجهز ابنتها للذهاب لبيت العائلة .. تجمع أغراضها الضرورية ..

تمر بين حين وآخر من أمام مكتب زوجها المنشغل بين أوراقه حتى الثمالة ..

هل هو العمل حقاً أم نوع من الهروب المقتن لا تدري ..

فكرت وعلى ثغرها ابتسامة مريرة نعيش بمرحلة لا سلم لا حرب ..

حرب أعصاب باردة تفجر عنها الوضع ولا تعلم لأي مكان ستنتهي بها ..

بعد قليل بمنزل صابرين كان الجميع يمضون وقتًا لطيفًا معًا ترتفع الضحكات الخافتة من حين لآخر على استحياء من ذكرى الموت القريبة ..
تابعت سلمى وجه أبيها لأول مرة منذ وقت طويل يحمل وجهه راحة وسعادة ..

بعد مرور سبعة أيام بدا مرتاحًا بالببيت كأنه لم يخرج منه قط ..
بدأ حزنه يأخذ مكانه الطبيعي من الذكرى الطيبة والدعاء بالرحمة ..
قطبت جبينها تفكر بحيرة ..
وأين ذهب الحب !؟

كانت طوال عمرها تعتقد أن حب أبيها لمنار هو نموذج يحتذي به للحب ..
ما بالها اليوم لا تستطيع أن تراه كذلك ..
بادرها أحمد مازحًا: كلي يا ست البنات بعدين اتأملي وشي براحتك ..
ضحك الجميع بمرح ..

لتكمل سلمى بخفوت : أنا شبعنا الحمد لله .. أستاذنكم بقى عشان عندنا مشوار أنا وندى وشروق ..

وبعد قليل كانت تقف مع صديقتها أمام مبنى من خمسة طوابق ..
كان تصميمه مميزًا بطراز قديم بشرفات مستديرة وأسقف عالية وحديقة صغيرة تحوطه .. تعبق بالمكان رائحة الفل و الياسمين يحملهم النسيم من أشجار الحديقة المقتصرة على هذين النوعين فقط .. عبق مميز لمكان مميز ..

رغم قدم المبنى لكنه كان بحالة جيدة جدًا ويبدو أن من يقطنوه يعتنون
بترميمه من وقت لآخر ..

خطت شروق للداخل تتبعها الأخريات ..

وفي البهو استقبلتهم امرأة بعمر الخمسين بعباءة وحجاب أنيق دون تكلف ..

الحاجة خيرية : أهلاً بشروق حبيبة قلبي وضيوفها ..

صافحتهم بحرارة .. واستأذنت للانصراف للداخل لدقائق ..

تحركت شروق بأريحية صاحب بيت كما يقولون فصحبتهن لمجلس بغرفة
جانبية ..

كل هذا وسلمى ترمق ما حولها بانبهار ..

المنزل يبدو منزلاً من حقبة أخرى من الزمن .. وكأنه خرج من كتاب أساطير
أو فيلم تاريخي .. تسوده درجات الأخضر من الزيتوني لأفتح درجات الأخضر

..

كانت ندى تشعر براحة غريبة للمكان كأنها كانت هنا من قبل ..

دقائق عادت بعدها الحاجة خيرية : نورتونا ..

شروق : دا نورك يا ست الكل ..

وبادرت تعرفها بندى وسلمى ..

ثم سألتها :

أخبار أهلنا ايه ؟

خيرية : بيسلموا عليكِ

كانت سلمى مازالت سارحة بتفاصيل المكان.. يظهر على وجهها الإعجاب
خيرية بمرح: عجبك المكان!؟

سلمى : جدًا .. بس حساه مش بيت مسنين!

دا بيت عادي ..

لا مش عادي!!

دا كأنه بيت سافر عبر الزمن!

ضحكت الحاجة خيرية فظهرت تجاعيد حول عينيها وأشرق وجهها : أنا
هشرحلكم الحكاية يا بنات!

البيت دا بيتي !!

كانت شقة في الدور الأرضي ومعها الجنية وعلى حياة أبو أولادي الله
يرحمه اشترى شقتين للأولاد ..

حب نتجمع سوا .. ويكونوا معانا ..

وكبر الولاد .. الكبير سافر للدراسة واتجوز هناك أجنبية وعاش هناك ..

والصغير شغله جه في العاصمة ونقل هناك ..

والبنت راحت بيت جوزها ..

لمعت الدمعات بعينيها الخضراوين: ومات الحاج!

البيت فضي عليا ..

وتعبت !!

أولادي اتحايلو عليا أروح معاهم لكن مقدرتش أنا عاوزة بيتي أنا .. حياتي أنا ..

وعرفت واحدة جارتني كانت تعبانة ومحتاجة عناية وملهاش حد أقنعتها تعيش معايا نونس بعض .. وفعلاً جت .. واحدة واحدة لقينا ناس زينا لوحدهم كبروا وعاوزين ونس وبعضهم محتاج عناية صحية وقاعدة المستشفى تجيب المرض!

وكانت الفكرة خلّيت البيت دار مسنين وصاحبتي قبل وفاتها وصتني أفرح ناس تانيين ببيتها .. وكدا البيت بدأ يكبر بضم شقة صاحبتي وابني الكبير برده اتبرع بشقته

بس احتفظت بكل تفاصيل البيت من ٤٠ سنة !!

كل جدار كل كرسي كل حاجة لها ذكرى لأولادي وجوزي ..

وكان اللي عايشين معانا بيرتاحوا في جو الأسرة والبيت ..

حتى صور ولادي خلّيتها زي ما هي ..

بهجة البيت لما أحفادي ييجوا أو حد يزورنا ومعاه طفل ..

هم محتاجين يحسوا إنهم بخير في بيتهم ..

يتعلموا السعادة من بسمة طفل ..

تفاصيل حياتهم بقت رتيبة بيونسهم روح الطفولة والشباب ..

شروق : عشان كدا احنا هنا ..

بدت الصورة أوضح لندي وسلمي ..

نهضت كل منهم لتمشي بجولة حرة بأحاء الدار كنوع من العصف الذهني
للتفكير في أجواء المفاجأة المزمع عقدها ..

مشت سلمى ببطء تنتقل من غرفة لأخرى .. تلمح تفاصيل منزل وأسرة عاشت
هنا .. تتوقف أمام اللوحات على الحوائط ..

الحاجة خيرية مع من يبدو أنه زوجها مع طفلة بابتسامة رائعة تزين ثغرها
تجلس في أحضان أبيها .. وولدين وقفوا بجوارهما تستند كفوفهما الصغيرة
على كتف أبيهم بحب لتكتمل صورة أجمل ما فيها ابتسامة ولدت على ثغور كل
من فيها ..

صورة أخرى لأحد الولدين يعبث برمال الشاطيء ناظرًا للكاميرا بحماس ..
وصورة للفتى الآخر يقود دراجة ..

صورة للفتاة مرتدية فستان تعبت النسمات بجداولها تبتسم بخجل ..
صور تحكي قصة أسرة ..

وخز قلبها كونها لم تحظى أبدًا بمثل هذه الصور ..

أسرعت تبحث عن شروق فوجدتها تجلس مع بعض نزيلات الدار في حوار
يبدو مرحًا ..

اقتربت لترتشف من ضحكاتهن ترامي لأذنيها بعض الكلمات ..

كن تتكلمن كخالاتها تنصحنها كل من وحي تجربتهن كيف تبدأ حياتها الجديدة
!؟

الفصل الحادي عشر

عالمها الصغير

بين جدران غرفتها ..

عالمها الصغير ..

هذا العالم الذي طالما احتوى ألوانها وأفكارها ..

اليوم هي تتصفح كل لوحاتها في الفترة السابقة ..

تتفحص بأناملها تفاصيلها التي تحوي الكثير من روحها ..

رفعت كفها تكتم ضحكة ندت من بين شفثيها ..

تذكر كم وقفت أمها منذ أيام ترمق لوحة ملاً فراغها الأبيض بنقوش لطيفة مع خلفية داكنة تظهر كم هو ناصع وكلل إطارها الأسود بأناقة ..

قالت لها : الله ! الصورة دي مريحة جداً نفسياً .. حلوة أوي !!

هل كانت تدري أنها استتقت الأبيض منها !!

قلبت بين اللوحات شاهدت لوحة بأشعة ذهبية خنقتها الغيوم يوم رأتها ندى
توجست منها خيفة!!

(يا ساتر يا رب

دي تخوف يا سلمى !! اللوحة دي وحشة !!)

لم تتجراً يوماً أن تفصح لهم أن هذه اللوحات تخصهم .. تحكي عنهم ..

كان هذا سرها الخاص ..

كم تتوق لحضور تامر .. ستخبره أنها قررت أن تقيم معرض خيري للوحاتها لصالح دار الحاجة خيرية .. سيسعد كثيراً .. بخبرته وحسن تعامله سيسر لها الكثير .. سيكون يوم المعرض يوماً جميلاً ومشروعاً مميزاً .. أول مشروع عملي يجمعهما ..

تحسست وجنتيها المضرجتين بخجل بدأت تعتاده كلونها الخاص بالحب ..
رنين الهاتف بجانبها أرجعها للواقع وأغلق نافذة الأحلام ..

سلمى : السلام عليكم !؟

شروق : صح النوم يا ست البنات ..

أكملت بلهجة مؤنبة: قلنا البركة في البكور !!

سلمى مدافعة رافعة كفها مدافعة وكأنها تراها : صاحبة والله !!

شروق برزانة: طيب كويس إنك صاحبة ..

أكملت ضاحكة : أصلا الكلام اللي هقوله هيفوقك حتى لو نائمة ..

سلمى مازحة: اللهم اجعله خير!!

شروق : خير إن شاء الله .. شوفي بقي أنا من يوم ما رحنا الدار بفكر ايه ممكن يكون مفاجأة تفرحهم .. حاجة مختلفة مش تقليدية .. أنس خطيبي مصر تكون حاجة غير عادية دي أول عمل خير نعمله سوا ونبدأ بيه حياتنا إن شاء الله .. بس طبعا تقولي ايه مش لاقية ولا فكرة !!

قاطعتها سلمى : أنا كنت لسه هقولك فكرة .. بفكر أعمل معرض خيري عشانهم ..

شروق مبتهجة : فكرة ممتازة .. الناس تتعرف عليهم وتشتري من اللوحات لصالحهم .. وممكن الحاجة خيرية تقول كلمة تعريفية بالدار .. ونلفت نظر الناس تزورهم .. يوووووه كنت هنسى .. أنس عنده إقتراح .. هنعمل فرحنا هناك معاهم ..

سلمى : فكرة تحفة !!

شروق : أيوة هو قاللي ستات كبار وانت كنت زي بنتهم أكيد أكثر شيء يسعدهم يشوفوا فرحتك .. وهنجيب أهلنا المقربين طبعاً وبعض أصحابنا وهم برده اللمة هتغير لهم جو ..

سلمى : هااa

شروق بحماس : المهم همتك معايا إنت وندى نظبط المكان بديكورات لطيفة تليق بالحفلة ..

سلمى : إنت جيت في ملعبنا متقلقيش ..

أغلقت الهاتف وبعد دقائق كانت مع ندى التي أعجبت للغاية بالفكرة بحثنا معا عن ديكورات مناسبة على الإنترنت انبهرتا بكم الأفكار وبعد كثير من التباحث أيها أفضل اكتفتنا ببعض البالونات المليئة بالهيليوم وزينات بقماش التل والساتان حول الموائد والكراسي وزينة بسيطة ككوشة حول كرسي العروسين ..

الخطوة التالية كانت حساب الخامات حسب الميزانية وتلك الخطوة خسرن فيها بامتياز ..

وبعد تراكم أكوام من الورق دونتا عليه عمليات حسابية كثيرة قررت سلمى الاستعانة بوفاء فهي مميزة في الحساب وترتيب المصروفات ..

كانت سلمى تتحرك إيابًا وذهابًا تضع الهاتف على أذنها تدعو أن تجيب وفاء وقد جلست ندى وبجوارها ياسين ينظرون إليها..

توقفت فجأة عن الحركة وهي تتحدث بانفعال : أيوة يا وفاء !!

وخلال عشر دقائق ومئة رحلة ذهابًا وإيابًا في الصالة كانت قد حكّت لها التفاصيل..

وفاء : حاضر حاضر .. بكرة إن شاء الله ريماس هتروح الدار مع نهلة وولادها وياسين ونقعد أنا وأنت وندى ونرتب الموضوع بأمر الله ..

زفرت سلمى براحة وبعد بعض كلمات الشكر أنهت المكالمة ..

كانت وفاء تجلس على الكرسي شاردة تنظر للهاتف ..

ليت كل الأمور تحل بهذه البساطة..

دائمًا كانت الأخت الكبرى الملجأ لحل كل مشكلات الصغيرة البسيطة ..

تفتح لها كيس الحلوى فتبتسم سريعًا كما هطلت دمعاتها قبلها سريعًا ..

تحتويها بحضنها وتقسم أن تعاقب تلك الطفلة التي أزعتها بالمدرسة فتنام الصغيرة قريرة العين ..

وكلما كبرت رأت عمق الحياة وعاشت مشكلات أكبر وظلت مشكلات أختها في نظرها أبسط لكنها حقا تستشعر دور البطولة من نظرات الفرح بعين الصغيرة ممتزجة بالشكر ..

تشعر كم هي قوية وقادرة على حل المشكلات .. فيعينها ذلك على مواجهة مشكلاتها الأصعب ..

وعلى ذكر الصعب أطبقت كفيها على بعض أوراق احتواها مظروف طبع عليه اسم مستشفى كبير .. يحمل بداخله هم كبير ستواريه عن الأعين ما استطاعت..

.....

رتبت نهلة شعر ابنتها كانت هذه الخطوة الأخيرة قبل الانطلاق ..

الأولاد متحمسون للغاية وهي متحمسة أكثر ..

اعتادوا و اعتادت معهم الذهاب للدار يحفظون الآيات يتعرفون على أقرانهم ..

مع التعليم وبعض المرح بدأت حياة جميلة ووقت مستقطع استطاعت أن تعود معه لنفسها ..

تطوعت لمجالسة بعض الأطفال كنشاط ترفيهي لتكتشف أنه وقت ترفيهي لها هي ضحكتها الصافية عادت بينهم ..

كادت لا تصدق أذنيها إنها تضحك ..

تسابقهم لصنع لعبة صغيرة من الورق الملون ..

أو تشكيل شيء ما بعجينة الصلصال فتجد أنها اندمجت تعمل بجد أكثر منهم ترفع عينيها فترى وجوههم علاها التصميم والجدية مع ملامحهم الدقيقة في لوحة ولا أجمل ..

وفي طريق العودة ابتاعت بعض بذور الذرة لأجل ليلتهم الموعودة ..

بعد ساعة كان كل شيء معداً ..

أطباق الفشار الساخن ..

ملابس بيتية مريحة ..

انتهت من حموم الأطفال وأخذت دورها لتكون مستعدة لتلك اللحظة ..
وعلى الأريكة جلست ابنتها ملتصقة بها و الصغير واضعاً رأسه بحجرها
..
أغلق ابنها الكبير الإضاءة وشغل فيلم الكارتون المحضر سلفاً وجلس تحت
الأريكة يلتقم حبات الفشار بنهم ..
(سينما البيت) كما سموها ..
يتخلل المشاهدة تعليق منها عن الأحداث ..
عن ما هو الصواب والخطأ ..
الخير والشر ..
أو ضحكاتهم لمشهد ساخر ..
أو دمعات متأثرة ..
تررررررررررررر
انتفض الجميع على صوت جرس الباب ..
وهرولت هي تسأل (من بالباب؟!)
تذكر أن لا أحد سيزورها اليوم ..
لم تطلب أكل من الخارج ..
حماتها نامت مبكراً ..
ليس يوم حضور أبو أولادها ..
على سيرة أبو أولادها ..

كانت هيئته تطالعها من ثقب الباب ..

فتحت بدهشة لم تقل عن دهشته ..

لما هو هنا !؟

(أنا كنت قريب من البيت قلت أطمئن عليكم)

قال مبررًا ..

طاف بذهنها حديث أم زوجها طوال الصباح عن مشكلات تصطنعها الأخرى ..

عن أزمة تمر بها حياته معها رغم كل شيء ..

قالت أنها فرصتها لتكسبه ..

تكسبه!؟

وهل خسرتَه يومًا !؟

وهل عليها أن تلاحقه !؟

هذا بيتها ..

وهذا أبو أطفالها ..

ستسعى أن يكون بين أطفاله ..

لكنها لن تدخل أبدًا بحرب عليه !!

الأخرى خارج عالمها وإن كانت بعالمه ..

لن يخصصها هذا الجزء من عالمه أبدًا ..

(أقدر أدخل!؟)

أفاقت على كلماته .. رفعت عينيها إليه : (دا بيتك اتفضل) ..

تابعت خطواتها عائدة ..

فتحت الفيلم مجددًا ..

عادت لنفس موقعها من الأريكة ..

لا بأس ..

نحن بخير ..

ضمت رأس الصغير إليها ..

لم يسألها أحد من كان بالباب .. ولم تقل هي شيئًا ..

بين ضحكة وإشارة وتعليق مرت الدقائق الأخيرة الباقية للفيلم .. ولكن زوجًا جديدًا من العيون انضم إليهم ..

(بأبأ !!)

صاح الصغير بفرحة ملقياً نفسه بين ذراعيه ..

كان يرى حياتهم بدونهم كيف تكون ..

هل هو فقط من خسر وقته معهم وبينهم؟!!

جاورها على الأريكة بعد انصراف الأطفال للنوم ..

لاحظ انتفاخ بطنها أكثر ..

تذكر أنه أبدًا لم يصحبها للطبيبة ..

(معادك مع الدكتور قريب ..؟!)(بصوت مثقل بالندم قالها .. أكملت ببساطة :

(كان من يومين .. أنا بخير .. والبنوتة بخير) أكملت : (الولاد كانوا

مبسوطين خالص أما شافوها ع السونار) تابع بوخز ضميره : (أكيد محتاجة حاجات للبيبي)

(آه طبعا .. باقي شوية حاجات بكرة أجيبها إن شاء الله)

(تمام هعدي عليكى الساعة ٦ كدا تكونوا جاهزين)

قالها ببساطة وانصرف ..



الفصل الثاني عشر

حفل زفاف

مر يوم وراء يوم والفتيات تعددن لفرح شروق ترتبن كل التفاصيل الجميلة
معًا .. بين الديكور وفستان شروق وملابسهن وأطواق الورد للصغيرات ..
وها هو اليوم الموعود ..

وها هي شروق ترتدي فستانها الأبيض وقد أشرق وجهها بالفرحة والمزينة
تضع على وجهها بعض الزينة الرقيقة وتتأكد أن شعرها مثبت جيدًا تحت
التاج الماسي والطرحة البيضاء ..
وقفت سلمى تتأملها بسعادة ..

بهجة الأبيض في الفرحة لا تضاهيها بهجة ..

لماذا فستان العروس أبيض!؟

أبيض يعني هنا النقاء ..

الطهر ..

السعادة ..

بياض السريرة أيضًا وخلوها من أي سوء ..

أو ربما يعني صفحة جديدة في حياتهما معًا ..

فكيف لا يكون مبهجًا بهيًا بعد كل ذلك!؟

ندى مؤنبة : أنت لسه هنا!؟

سلمى وهي تغلق باب غرفة العروس وتتجه معها للخارج : متقلقيش !!
بظمن بس خلصوا ولا لسه ..

كله تمام

البيت وزينته خلصت الحمد لله التل واللوحات على الحوائط والمفارش ولا
أروع!!

ووفاء ونهلة مع الأطفال و جهزوهم خلاص بأطواق الورد ..
والحاجة خيرية قالت كل المسنات مستعدات..

فاضل إيه !؟

ندى مفكرة: نتصل بقى نستعجل خالتو صابرين وخالتو فاطمة ..

سلمى بتأكيد: استلموا الجاتوه وفي الطريق ومجهزين حالهم إنهم يساعدونا
في التوزيع..

أمسكتها من ذراعيها وأدارتها لها : متقلقيش يا ندوش إحنا أدها إن شاء الله
..

مع ابتسامة ندى الهادئة سمعت رنين وصول رسالة لهاتفها ..

كانت من تامر فتحتها بسرعة كانت صورة ..

صورة لورقة تعني أنه قدم لها لتكمل دراستها بالخارج بنفس الجامعة التي
بها أخته وقبل طلبه!!

مكتوب تحتها .. (دي المفاجأة اللي وعدتك بيها .. فرصة تدرسي هنا وتاخي
الجنسية .. أشوفك على خير بعد يومين) ..

كانت فعلاً مفاجأة!!

هي كانت تبحث عن لون حبهما هنا ..
بين أهلها ..

في دفاء المعارف والأقارب ..

عمل خيري ما سويًا ..

معرضها الفني ..

وهو يبحث عن لون حبهما هناك ..

في ثنايا بلد عاش فيها وترى ..

يؤسس لها أسس أن يكون لها مكان بمجتمعه ..

زفرت بعنف ..

ما لون الغربة ؟

لم تجربها يومًا ..

هل يمكن أن تستيقظ فلا تسمع صوت ضجيج شارعهم !؟

أن لا ترى وجه أبيها وأمها وأهلها لسنوات تراهم من خلال شاشات باردة !؟

طافت بجسدها قشعريرة ..

لا بأس علمتها شروق أن تستخير ..

ستستخير وتفكر بالأمر ..

نقرت بأصابعها على الشاشة تتصل بتامر لتشكره عبر الإنترنت في اتصال

فيديو ..

بعد عدة رنات فتح الخط ..

كانت الصورة مشوشة !!
إضاءات تظهر وتختفي ..
ووجه تامر بين الومضات ظهر ..
(تامر)
هتفت بها بقلق

..

من خلف كتفه رأت بنات وأولاد يتمايلون برقص خليع ..
بدت حروفه مبعثرة ..
لم يكن متزنًا تمامًا ..
كان حفلًا كما هو واضح ..
أغلقت الاتصال بصدمة ..
ثقب أسود فتح بقلبها امتص كل ألوان الحياة فبدت شاحبة متخبطة ..
ترامى لأذنيها صوت زامور السيارات يؤذن بحضور العريس ..
تعالى صوت بعض أناشيد الأفراح ..
نفضت جمودها وجرت تساعد الأخريات إنه فرح شروق لن تفسده ..
بعض دقائق ظهر أنس مبتسمًا متأنقًا بحلته ..
تعالى زغاريد بعض المسنات وبعض أهلها ..
طفق الجميع يباركونهما ويدعون الله أن يكتب لهما السعادة ..

وزعت أطباق الحلوى وكؤوس شربات الفرح ..

بعد حوالي ساعة من بدء الحفل بدأت العروس تتجهز للخروج مع عريسها والأهل المقربين بعد وداع دافئ من المسنات ليكملوا الفرح ببیت العروس حيث ينتظرها باقي الأهل والأحبة ..

كانت أمها تساعدها لتثبت على رأسها غطاء رأس أبيض كبير يداري زينتها وشعرها وفستانها حتى تستطيع الخروج للشارع بحشمة نفذته لها ندى حسب طلبها ..

ودعتها ندى وقد أغرقت وجهها دموع الفرح ..

عانقتها وفاء وهمست بأذنها عابثة ببضع كلمات احمرت لها وجنتيها ..

وصتها نهلة أن تعني بنفسها جيداً ..

ووقفت سلمى قبالتها تحاول غلق ثقبها الأسود تبذل كل آيات الثبات باحثة عن حروف مناسبة تقولها ..

لماذا تشعر نحوها بالشفقة؟!

أين ذهبت بهجة الأبيض؟!

شيء ما أضاع جمال كل شيء فغدا بلا طعم ولا لون ولا نكهة ..

(مبروك)

بالكاد لفظت الحروف لا تدري كيف قذفتها من وراء قلبها المرتجف الذي أحس مرارة حروفها ..

لحظات انتهى بعدها كل شيء ..

تعلمت بارهاقها ومضت لغرفتها ..

أغلقت الباب واستندت عليه جالسة تستجدي بعض الدموع تخرج بها أمواج
الحزن العاتية بداخلها ..

كيف من يكون من ظننت أنه الأقرب لك هو الأبعد تمامًا؟!
هل من الممكن أن تخدع لدرجة أنها تعرف عن شخص ما رسم لها أن تراه
فقط؟!!

اتصال باسم تامر نبهها فانتفضت تمسك بالهاتف ..

فتحت الاتصال صوتي فقط ..

تامر: مساء الخير ..

أخبارك ايه؟!!

إيه رأيك في المفاجأة؟!!

تفاجأت أكثر !!

إنه يتكلم بشكل عادي كأن شيئاً لم يحدث !!

ألوووو

سلمى سمعاني؟!!

سلمى بتلغثم يعكس أمواج قلقها : أيوة معاك ..

أنت كنت بره من شوية كلمتك وكان الجو حواليك دوشة ..

ضحك مجيبًا : أيوة يا ستي ..

أصحابي لما عرفوا إني نازل أتجوز عملولي حفل توديع عزوبية .. هههه

حاجة زي الحنة عندنا كدا بس هم بيافوروا شوية ..

سلمى بدهشة : بيأفورا !!

بس بس إنت مكنتش في وعيك ..

تامر بمرح : شوية أفورة لزوم الحفلة مش أكثر ..

أكمل بجدية : أنا مليش في الكلام دا خالص .. بس دي حفلة ومرضيتش أكسفهم ..

استرسل يحكي كل تفاصيل الحفل وهي مع كل كلمة تدرك كم كانت ساذجة ..

كم يبعد واقعه وحياته وعاداته وأفكاره عن واقعها وحياتها وأفكارها ..

هي شرقًا وهو غربًا ..

يمينًا ويسارًا ..

ضرب ألم رأسها فجأة ..

سلمى : طيب مضطرة أقفل أكلمك بكرة ..

تامر : مقلتيش رأيك في المفاجأة !!

أغلقت وهي تتساءل هل بعد هذه المفاجأة مفاجأة !!

.....

أغلقت وفاء الباب الشقة خلفها واتجهت لغرفة ريماس تضعها على سريرها فقد غفت الصغيرة بعد كثير من اللعب في فرح شروق ..

وضعتها بغرفتها بهدوء وعادت للصلاة فوجدت زوجها جالسًا ..

لكن بمجرد رؤيته لها وقف فجأة مطلعًا إياها على ما يمسك بيده وملامح وجهه لا تشي بالخير ..

حسبت خطواتها بتؤده متمسكة بثباتها لأبعد حد ..

فانفلت عقل غضب زوجها : هو إيه دا يا هانم !؟

كان بيده مظروف معمل التحليلات ..

فبلعت ريقها بتوجس فهي لا تعلم هل وصل للأوراق أم فقط رأي المظروف
الذي نسيت أن تخبئه جيدًا ..

وفاء بتوتر : دا ..

دا ظرف المعمل اللي بنتعامل معاه دايمًا ..

أشار بيده لتاريخ مدون عليه ..

فردت وقد قررت الاستسلام : أيوة أنا جبت نتائج آخر فحوصات عملناها ..

وقف قبالتها بهدوء صاخب : ممتاز .. طيب مش مفروض أعرف أنا كمان
النتيجة !؟

مش عارف إحنا بقينا كدا أزاى !؟

يعني بجد جبتي النتيجة وشلتنيها وبس !؟

مجاش في بالك إني محتاج أعرفها !؟

دا أنا كنت ناوي أجيبها انهارده ..

كان يبقى شكلي إيه طيب قدام الناس في المعمل وإنت استلمتيها !؟

وقفت قبالته مرتبكة : بص .. أنا رأيي إن النتيجة ملهاش لازمة .. يعني كل
شيء بايد ربنا ..

فأكمل مؤكدًا : ونعم بالله .. طيب ممكن بقى أشوفها ؟

وفاء بتلثم غريب عليها: أكيد .. لازم .. بس فعلاً هي مش مهمه ..
كاد يفقد صبره فتركته مهرولة تحضر الأوراق من الداخل ..
أحياناً يلتهم القلق كل الألوان فيبقى كل شيء بلا معنى ..
لقد عاشت أياماً من القلق لا تذوق طعمًا للنوم ولو لحياتها كلها ..
خوفاً من أن يعرف ..
وماذا بعد أن يعرف؟!
على الأقل سيمضي شبح القلق المسيطر على حياتها ..
نعم ..
أمسكت الأوراق بعزم ..
سلمتها له تتحاشى النظر لعينيه ..
فتحها لتطالعه حقائق ..
حقائق بلون قاتم ..
لون يجرح رجولته ..
ويبرأها من كل عيب ..
بقيت ترمق قدميه على السجاد أمامها بصمت ..
قطع الأوراق وقذفها فتناثرت بلون الألم القاني ..
دخل مكتبه وأغلق الباب خلفه بعنف ..

الفصل الثالث عشر

بريق أمل

جلست خلف الباب تعرف هي كم يعتصر ألمًا بالداخل ..
ألمًا طالما عاشته ..

طرقت الباب بلطف ثم فتحته مستأذنة: ممكن أدخل؟!
طالعتها عيناه حمراوان بحزن ..

جلست قبالة مكتبه ..
وفاء: على فكرة ..

أنا فعلاً اتعمدت أخبي النتائج ..
كنت عاوزة أعرف ..

يا ترى لو أنت فعلاً صدقت كلامهم إني عندي مشكلة هل ساعتها هتتخلي
عني؟!

كان ممكن أكون عندي مشكلة صحية وممكن لا .. لكن رد فعك هو اللي
مكنتش ضمناه ..

سكوتك المتكرر على كلام يجرحني كان صعب جدًا عليا ..

أيوة كنت عاوزة أعرف أنت ممكن تكون قاسي قد إيه لو أنا اللي تعبانة !!
مكنتش هقدر أكون قاسية زيك للأسف ..

بس عالآقل كنت هفهم مكاني في قلبك ..

كانت دموعها تغرق وجهها المرهق بكل تفاصيل مشكلة حياتها ..

رد بقوة : أنا مش عارف أنت ازاي فكرتي إني ممكن أتخلى عنك !!

كلام إيه دا ؟

أكيد كلام أمي كلام ست كبيرة نراضيتها بالسكوت إجلالاً لعمرها .. مش معنى
كدا إني موافق ..

أنت وريماس عندي بالدنيا ..

وضع كفيه بجيوبه وقد تغيرت نظرة عينيه لتصميم : لكن الوضع اختلف ومن
حقك أنت تفكري ..

وقفت أمامه بلهفة : أنا قراري منتهي يوم ما اخترتك .. مليس غير بيتي وأبو
بنتي ..

هل للوجوه أن تتير ؟!

كان وجهه الآن مستتيراً حرفياً ..

ربت على كتفها وأوماً برأسه .. بعض المواقف تظهر لك معدن الناس ..

وهي اشترت حبه بأي ثمن ..

ولم تندم ..

أحياناً يبهت لون الحب ..

حتى لتظن أنه كان وهماً أو سراً ..

لكنه فقط الإهمال ..

الحب يحتاج اهتمام وعناية فبالإهمال يضيع معناه ويتوه لونه ..
وربما بعدها يأتي موقفًا يصهر كل ما علق بالقلوب من شوائب فيعيدها مرتعًا
لحب غنى براق ..

كأنه حب جديد اكتشفناه اليوم !!

أو ربما تيقنًا فقط منه ..

.....

جلست سلمى على مائدة الغداء مع أباؤها ترسم الابتسامة بعناية ..

لقد فكرت كثيرًا ..

ووصلت لقرار ..

طريقهما ليس واحدًا ..

ليس بينهما لون مشترك للحياة ..

ولا حب يعيش بدون طريق مشترك ..

تململت في كرسيها تنتظر انتهاء أبيها من الطعام ..

أحمد : تسلم ايديكم الأكل جميل زي العادة ..

صابرين : الله يسلمك .. جميل بوجودك معانا ..

كادت تفلت من فمها ضحكة ..

لم تعد لون حبهما حولها .. ربما قدر لها أن تراه أخيرًا !!

لملمت الأطباق برشاقة وسرعة ...

تنبعت لأحمد يدخل للشرفة فتبعته مستغلة انشغال أمها بصنع الشاي ..

سلمى : بابا .. كنت عاوزة أقولك حاجة ..
أحمد وقد استشعر جدية الأمر: خير يا سلمى؟
سلمى بحذر: أنت قلتلي إن الخطوبة فترة تعارف؟
بابتسامه وقورة رد مؤكداً : أكيد .. فرصة تفهموا بعض بشكل رسمي محترم
..
أجابت : طبعاً عندك حق ..
إحنا فعلا خدنا وقت كافي للتعارف ..
ثم اقتربت منه وأخفضت صوتها قليلاً : أنا دلوقت واثقة إننا طريقنا مش واحد
..
لم يبد لها أنه تفاجأ ..
أحمد : طيب احكي لي
بأريحية بدأت تفند له مميزات وعيوب تامر ..
حياته ونظامها وحياتها المختلفة ..
بدا مستوعباً على عكس ما توقعت ..
أحمد: أنا حقيقي فخور بيك يا سلمى .. وواثق في قرارك ..
سلمى الوردية صارت كبيرة ..
لم تعد تهرب ..
بدأت تفكر وتحلل ..
استطاعت أن تشرح ما تفكر وما تشعر به ..

وهذا يطمئن قلبه ..

سلمى ضاحكة : طيب بما إن حضرتك شايف قراري صح بلغه لماما مع كوباية الشاي ..

انسحبت لغرفتها بلطف ارتدت ملابسها وحجابها رمقت نفسها بالمرآة ..

لقد صارت كشروق محتشمة بوقار تفخر به ..

خرجت من غرفتها تتسلل رأت أمها تضع أكواب الشاي أمام أبيها ..

رفعت لها عينين متسائلتين: معادك مع ندى صح؟

قبلت جبينها: تمام يا ست الكل .. سلام مؤقت..

وفي عيادة إحدى الطبيبات جلستا متجاورتين ومعهما ياسين ..

الصغير مازال يتلعثم بشكل صار لا يناسب عمره ونصحتهم شروق بالتوجه لتلك الطبيبة من أجل إيجاد حل ..

بعد وقت انتظار ثقيل كان دخولهم لغرفة الطبيبة التي قالت كلمات قليلة ..

(الولد تعرض لاكتئاب نتيجة ظروف غير مناسبة وضغوط نفسية أدت لتأخر نطقه .. سيبدأ خطوات علاج ولكن لازم نحرص أنه يكون بعيد عن أي الضغوط النفسية)..

كانت ندى في طريقها للمنزل تمسك بكفه بقوة وكأنها تمزج كفه بكفها ..

تؤنب نفسها ..

لقد كنت سبباً لمرضه بصمتك ..

أليس الصمت فعل!؟

بل الصمت أقوى من كثير من الأفعال ..

وهي صمتت كثيرًا ..

صمتًا بلون الخذلان الباهت .. ودفع ابنها الثمن !!

ثمن عصبية والده ..

وصمت والدته ..

نعم لقد تحسنت الأمور الآن ولا وقت للبكاء على اللبن المسكوب ..

عليها فقط دفع ثمن خطأها ومساعدته للشفاء ..

ستخبر والده بالأمر سيتحمل معها نتيجة خطوئهما المشترك ..

.....

خطت سلمى لغرفة الحاجة خيرية التي كانت تنتظرها ..

وبعد تبادل التحية ..

ومع كوب شاي بالنعناع تتسلل حرارته بين كفيها ..

رأت أنه عليها أن تسكب أنين قلبها بين أيدي أمينة ..

سلمى وهي تنظر لورقة النعناع الخضراء فوق سطح الشاي : كنت عاوزه

أسألك سؤال ..

رفعت لها خيرية وجها مستبشراً ..

فأكملت سلمى : يعني إيه حب ؟!

ردت خيرية بسخرية : حب من بتاع اليومين دول ولا حب بجد؟!!

سلمى : مش فاهمة ..

وضعت خيرية كأسها الفارغ بالصينية واعتدلت مسترسلة : الحب بتاع ولد
وبنت ..

فاهمين الحب كلام حلو ..

فسح ولا خروجات ..

دا مش حب ..

لا طبعا ..

كله يعرف يمثل الحب دا ..

مفيهوش مسؤولية ومشاركة لمصاعب الحياة ..

ضحكت مكملة : دا حب نظري على ورق !!

الحب اللي بجد حب بدأ صح ..

بدأ من باب البيت ..

بدأ في النور بمباركة أهلها وأهله ..

مفيهوش غضب لربنا ..

ومفيهوش حاجة نندم عليها ..

حب تحت سقف بيتهم ..

تتحمله ويتحملها ويتحملوا مع بعض ظروف الحياة بخلوها ومرها ..

سكن ومودة ورحمة هو دا الحب ..

جادلتها سلمى تطوف بذهنها أفكار : أنا فاهمة كل الكلام دا ..

بس برده بشوف ناس كتير بدأوا صح وبرده ضاع منهم الحب ..

هزت الحاجة خيرية رأسها بتقرير : عندك حق ..

لأنهم فهموه برده غلط ..

نسوا الأهم من الحب ..

المودة والرحمة اللي تراعى ثمرة الحب بينهم يزيد أبداً ما ينقصش وكل واحد فيهم بيعامل ربنا في الثاني ..

الله يرحمك يا حاج ..

ودت سلمى لو تكمل لكنها سكنت ولم تشأ أن تكون متطفلة فانصرفت معها لشؤون الدار دون مزيد من الثثرة ..

ولكن بذرة أمل بدأت تنمو مكان ثقب قلبها عليها تضمده ..

.....

كانت أول مرة يخرجها معاً منذ وقت طويل اشترى بعض الملابس للصغيرة وأصر على شراء بعض أشياء لها وفي طريق عودتهما للمنزل لم تنس أن تشكر والدته على عنايتها بالأطفال حتى عودتها ..

كانت والدته ترمقهما بحنان تعلم أن شيئاً ما بينهما قد تم إصلاحه ..

جلست نهلة على سريرها تتفحص ما اشترىاه سوياً ..

فرحه كأنها تنجب للمرة الأولى ..

ميلاد طفل جديد ..

وحياة تجددت بالاهتمام ..

ولون حب يليق بها..

.....

في اليوم التالي اتصال غريب وصلها قلب الأمور رأسًا على عقب ..
وضعت السماعة وصارت تضحك بهستيريا ..
التقرير الطبي خاطئ!!!
تلك النتائج لا تخصهما!!!
كل هذا كان كابوسًا عليها أن تنهيه باتصال سريع لزوجها !!
بعض الصدف تعني أكثر من مجرد حدث عارض وانتهى!!
بل ربما تكون زلزالًا حرك ما حرك ثم مضى !!
حتى لو لم يكن التقرير صحيحًا فكل الحقائق الآن بعد حوار الأمس الخارج عن
إطار الصمت السابق مختلفة تمامًا ..
هي صدفة ختمت كنقطة نبدأ بعدها من أول السطر ..
وقف ووقفت معه أمام مركز التحاليل ..
ابتسامة زينت شفثيهما معًا ..
كانت أول من تكلم فقد تعلمت أن عليها المبادرة ..
هو قليل الكلام بطبعه وهي قررت أن تحبه كما هو ..
وسمع هو كلامها ..
كلام كان ينتظره .. يشعر به ..
يحس أنه هو قائله لكنه على لسانها ..
ربما يسخر من كلامها أحيانًا على سبيل الدلال ليس أكثر ..

وفاء مازحة : أنت متأكد إننا لازم نجيب النتائج؟!
أجابها : أكيد متأكد ..
وأكمل بثقة : أي كانت النتيجة من حقنا نفهم..
هل عادا لنقطة الصفر؟!
كلا فقط وضعا بعض النقط بلون زاهي على حروف حبهما ..

.....



الفصل الرابع عشر والأخير

كتاب جديد

عند عودة سلمى للمنزل كان باسم جالسا في صالة المنزل .. يبدو أنه كان منتظراً لحضور والدها ..

فتحت الباب بمفتاحها فتحنح مشيراً لوجوده ..

من هو باسم ؟

هو شاب من أقرباء أبيها يزورهم من حين لآخر ..

سلمى : السلام عليكم ورحمة الله

باسم غاضباً بصره : و عليكم السلام ورحمة الله

أهلاً بالعروسة مبروك ولو إنها متأخرة ..

سلمى بغير وعي : فعلاً متأخرة جداً لأن الموضوع تقريباً انتهى ..

لمحت أمها قادمة تحمل تحية الضيف فانسلت للداخل حامدة ربها أن لم تسمعها ..

كان أحمد قد أخبر صابرين بحديث سلمى واقتناعه بكلامها وقد أخبر والد تامر بالفعل بالخبر ..

لقد اقتنع أحمد أن مهما سعى ابن آدم توزع الأرزاق بوقتها .. وها هو قد اطمأن على سلمى وأنها صارت ناضجة عاقلة وهذا يكفيه حالياً..

.....

وفي طابق آخر من نفس المبنى ..
كانت نوبة غضبه تتصاعد .. لا تدري ماذا تفعل؟!
منذ فترة وهي تعمل على أن لا تصل به لحافة غضبه مهما حصل ..
ألا تنزلق لزوبعاته..
كان موقف غير مقصود بالمرّة .. بل عابرًا و عاديًا جدًا !!
لكنه بالطبع لا يفهم كلماتها فعقله الآن مغلق ..
وصوته يتصاعد ناسفًا كل الطمأنينة والهدوء !!
بلا أي منطق ..
إذا سكتت بدت غير مهتمة
وإذا تحدثت بدت مخطئة ..
الأمر تعدى كل الخطوط الحمراء التي وضعتها بالفترة السابقة عازمة أن
تتخلص من تلك الموجات السوداء الهادرة ..
أنا طالعة لماما صابرين
قالتها بصوت واضح بعيدًا عن روحها المبعثرة بتلك اللحظة ..
في اللحظة التالية كانت تغلق الباب خلفها ..
لتقفز الدرجات منتحبة ..
يبدو أنها أبدًا لن تنجح في الحصول على حياة معه بلا رياح غضب عاتية
تبدأ فجأة ولأتفه سبب .
يكفي هذا ..

ستعيش مع الحاجة خيرية وتكمل مشروعها للأعمال اليدوية وترعى ابنها
فليس كل الحب يسعد ..

. هو يحبها لكن من الحب ما قتل ..

فإما أن يتغير حقاً وإما أن يتكبد عناء خسارته ..

.....

دخلت سلمى لغرفتها تنتظر رد فعل أمها .. هي لا تخشى منها بل تخشى عليها
تخاف أن تحزن أو تتألم فتمرض !!

جلست ترتب لوحاتها فالمعرض غداً ..

ها هو أول أحلامها الصغيرة سيتحقق ..

لقد أعدت مكاناً جميلاً للمعرض مع ندى وشروق والحاجة خيرية ووفاء ونهلة
ونسمة ..

كل شيء معهن جميلاً !!

أخذت نسخة مصورة من كل لوحة لتظل عندها بعد بيع اللوحات لصالح الدار
..

وعدها أبيها بالحضور وأمها أيضاً ..

طرقت صابرين الباب ثم دخلت : أهلاً أهلاً بالمشغولين جاهزة للمعرض !؟

رمقت سلمى بقاع عينيها تضامناً ومساندة دون كلام ..

إن فقد تخطت أمها الأمر ببساطة !!

بعض القرارات نقلق من اتخاذها ..

لا نمك الجرأة والشجاعة حتى نجهر بها ..
نحسبها لوْنَا نخجل أن تتلون فرشاتنا به ..
موقنون بصحته رغم كل شيء .

فإذا ما امتلكننا العزم والإصرار واستخدمناه تفاجأنا أنه كان الأنسب والأصح ..
وأن ما انتظرناه من معارضة له كان محض خيال ..
لقد أغلقت صفحة تامر من حياتها رسمياً كما أبلغها أبيها ..

.....

بين جنبات المعرض كانت سلمى تتحرك بنشاط ترحب بالحضور تشرح
اللوحات تحسب ثمن كل لوحة بيعت وتسال وفاء هامسة ماذا يمكن أن يفيد
هذا المبلغ في الرقي بالدار !؟

كانت وفاء تبسم تدعوها للصبر حتى نهاية المعرض ..

كفريق متناغم يدير المكان كانت ندى ونهلة وشروق ونسمه في فريق ولا
أروع!

(تسمحي تشرحي لي اللوحة دي !؟)

نعم كان باسم ..

سعدت سلمى لحضوره واهتمامه ..

سمعها تشرح اللوحة بانفعال ..

وبعد قليل فاجأها

(بصراحة أنا جاي أطلب طلب صعب أنا عارف!!)

بس عالأقل مش هندم حتى لو رفضتِ)

كانت مطرقة في صمت شجعه ليكمل

(دائمًا كنت شايفك أنسب حد ليا ..

بس كنت بخاف أترفض

ولما اتشجعت بعد ما اشتغلت ورتبت أموري عرفت إنك اتخطبتي وإني إتأخرت

!!

ولما عرفت منك إن الموضوع انتهى محبتش أنتظر تاني وبرده أضيع الفرصة

(..

كادت تفتح فمها فأكمل دون أن يدع لها فرصة

(لا بعد إذنك مش هسمع ردك دلوقت !!

عمو أحمد قاللي حاجات كتير ..

وقال لي إن يمكن الوقت مش مناسب ليك لكن أنا استأذنته أبلغك طلبتي بنفسني

قبل ما أزوركم وقت الظروف ما تناسب عندكم .. على فكرة المعرض كانت

هايلة!

(سلام مؤقت)

انصرف من أمامها مسرعًا ومن ركن بعيد ظهر أحمد مبتسمًا يرفع كفيه معبرًا

أنه لم يكن له يد في الأمر ..

ابتسمت بخجل متصنعة الغضب ..

لكنها في الحقيقة كانت تهديه رمادي بامتياز !!

لا تحتاج إلى كثير من التفكير ..

لقد اطمأنت بعدما جالست باسم مع أبويها مرات عديدة فتأكدت من اختيارها ..
اختيار كان قبله استخارة كما علمتها شروق ..

.....

بعد أيام كانت تجلس مبتسمة بفستان وردي وحجاب وردي .. تمسح أمها
دموع الفرح بطرف ثوبها .. تبتسمن صديقاتها بفرحة وقد طلبت منهن أن
ترتدين فساتين زاهية ليست بلون واحد كما اعتادت أخوات وصديقات
العروس غالبا .. إنما حددت لكل منهن لونا .. لم تحب أن تعترف لهن برويتها
لألوانهن وقصة كل لون منهم بلوحاتها .. فقط قالت لهن أن التزام كل واحدة
منهن باللون الذي حددته لها سيسعدها ..

تألفت وفاء بفستان نبيذي داكن الحمرة ..

وأشرقت ندى بذهبي ناسبها تماما ..

كانت شروق ترفل بثوب فضي ذو نوق رفيع ..

ونهلة بتايور بنفسجي هاديء ..

والغالية نسمة بفستان البرتقالي والأسود بأناقة ..

وزاد جمال الصورة وجود أبيها وأمها معا ..

أبيها مرتدي بذلة سوداء ..

وأمها عباءة بيضاء مطرزة الأكمام ..

ابتسمت عيني سلمى ترمقهم بشغف أجمل ألوان حياتها ..

وها هي اليوم تبدأ أول سطر بكتاب الحب بحياتها لوئاً يزينه التزامها وعقلها
وما سمعته عن أو رأته من ألوان الحب ..
لوئاً ربما لا يشبه أي لون يخص الأخريات فلكل لونه الخاص ..
من ألوان الحب ..

-تمت بحمد الله-
غادة أكرم

